رسالة جديدة
في
بناء الإسلام على الشهور القمرية

وتفسير آية:

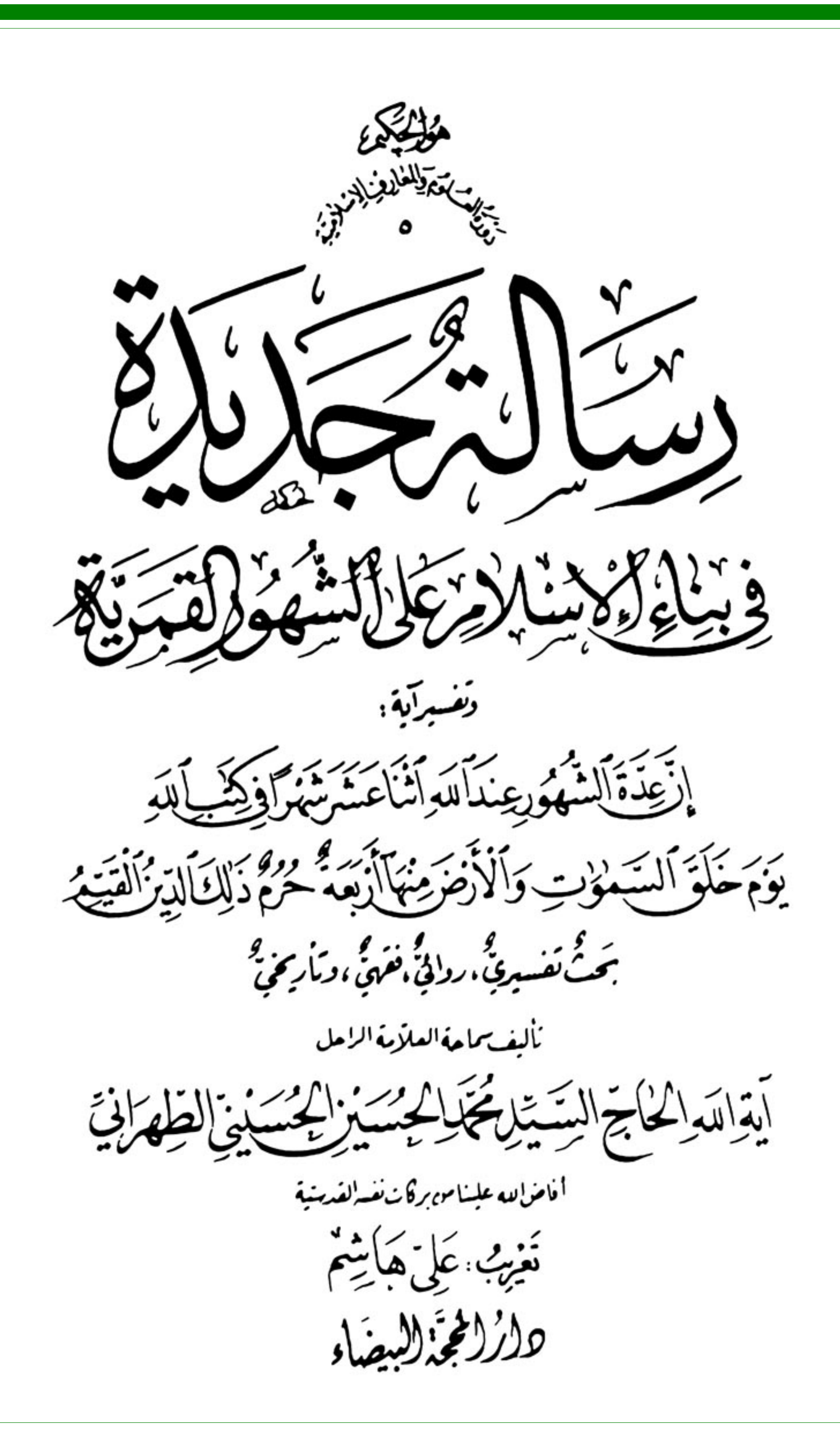
إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله

يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم

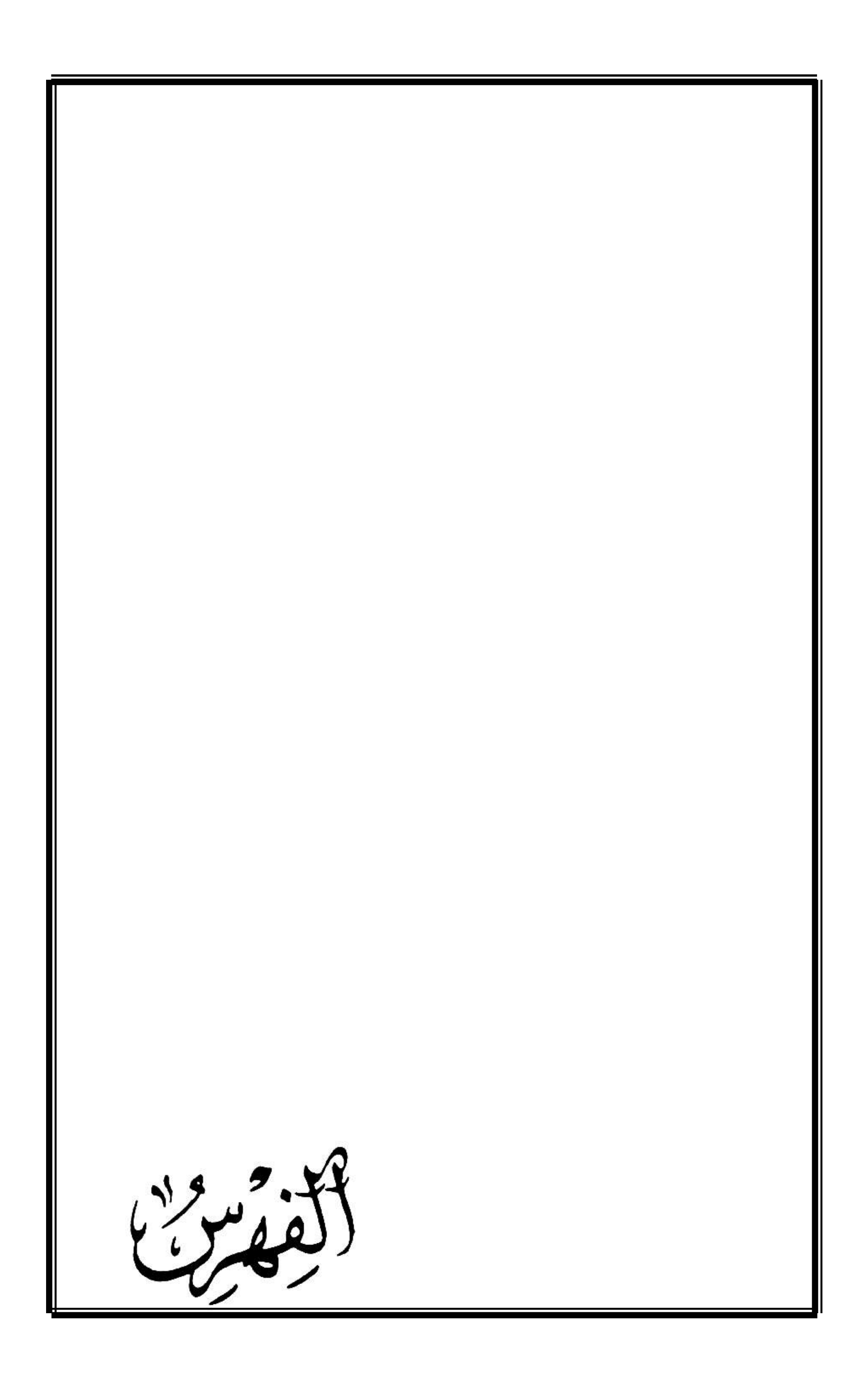
بحث تفسيري، روائي، فقهي، وتاريخي

آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

دار المحجة البيضاء


هو الحكيم
دورة العلوم والمعارف الإسلامية
٥
رسالة جديدة
في بناء الإسلام على الشهور القمرية
وتفسير آية:
إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ
يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ
بحثٌ تفسيريٌّ، روائيٌّ، فقهيٌّ، وتاريخيٌّ
تأليف سماحة العلامة الراحل
آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني
أفاض الله علينا من بركات نفسه القدسية
تعريب: علي هاشم
دار المحجة البيضاء


بسم الله الرحمن الرحیم

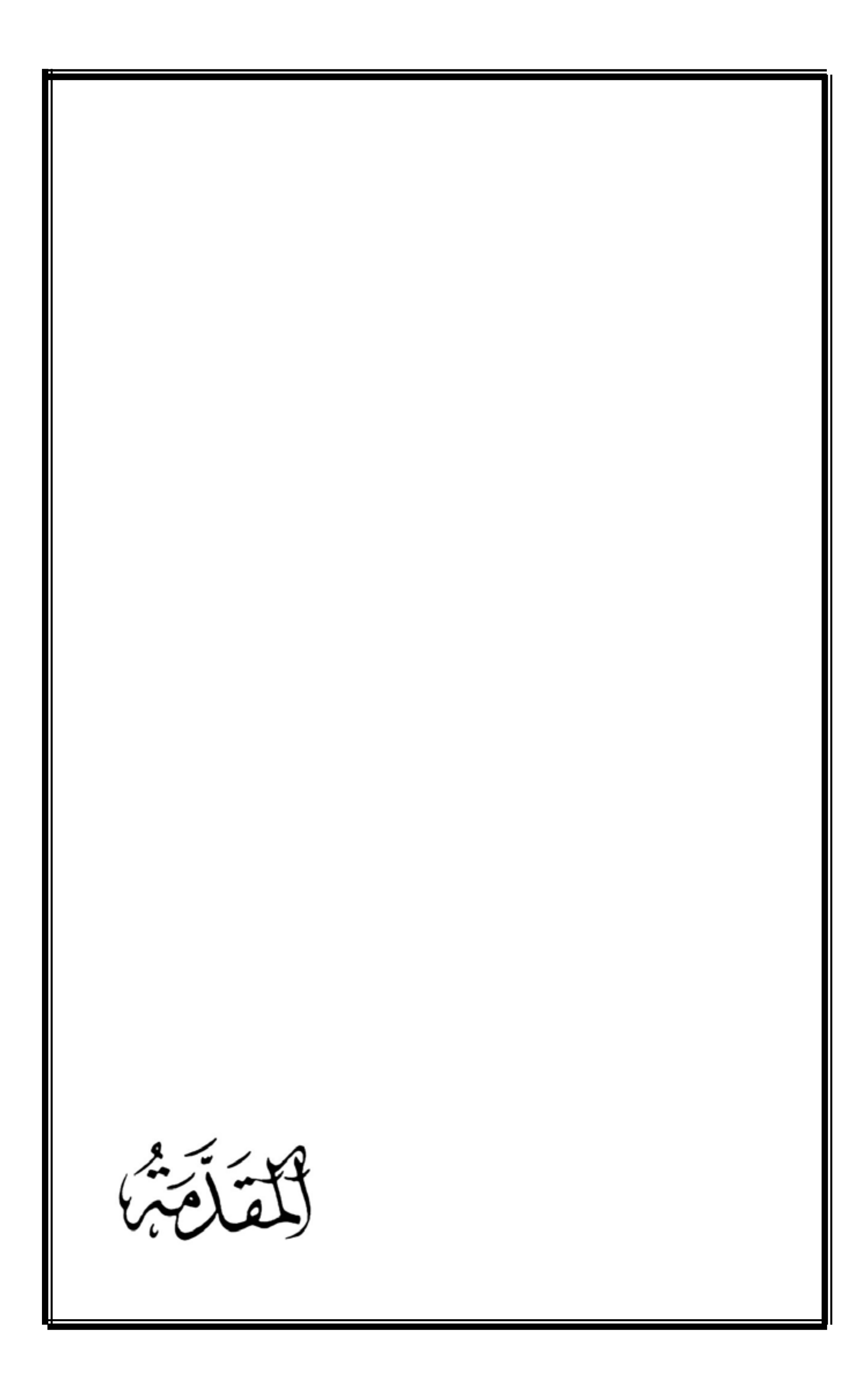

الفهرس

فهرس مطالب و موضوعات

رسالة جديدة

في بناء الإسلام على الشهور القمريّة

المطالب	الصفحات



المقدمة

بِسْـمِ اللَهِ الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيم
وصلَّـى اللهُ علـى محمّـد وآلـه الطَّاهـرين
ولعنة اللَه على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين
ولا حـول ولا قـوّة إلّا باللَه العلـيّ العظيم

لدى تأليف كتاب «معرفة الإمام» من سلسلة العلوم والمعارف الإسلاميّة وجدتُ حاجة مُلحّة لكتابة مقدّمة وتمهيد لواقعة غدير خمّ بحثاً في أوضاعها وجوانبها ، ودرساً لظروفها ومـلابساتها ، وتـعرّفاً على بيئتها ومشاهدة أرضيّة الأفكار والآراء ومواقفها التـي أثـمرت الإعلان عن تنصيب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طـالب عـليه السلام للإمامة والولاية الإلهـيّة الكـلّيّة المـطلقة .. وذلك لأجـل إراءة بحث جامع عن حجّة الوداع وسفر رسول الله صلّى الله عليه وآله من المدينة إلى مكّة .

وقد استوعب بـحث الغـدير بـمفرده أربـعة أجـزاء مـن هـذا الكتاب ـ من الجزء السادس إلى التاسع ـ وقد بـحثنا دراسـة تـحليليّة قصّة سفر رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى مكّة في السنة العـاشرة

للهجرة ، وما اتّصل بها من خصائص الوقائع والملابسات ، ممّا استغرق قسماً من الجزء السادس .

ومن تلكم الوقائع خطب النبيّ صلّى الله عليه وآله في مكّة ، وفي أرض عرفات ومنى . وفي خطبته في مسجد الخيف بمنى يوم عيد الأضحى ـ وهي خطبة في غاية الرفعة والعلوّ ، تشمل على كثير من الأحكام والتعاليم والوصايا والمواعظ ـ ورد ذكر «النسيء» . والنسيء هو تأخير أداء الأحكام والتكاليف المقرّرة في شهر معيّن إلى شهر آخر ، وتأجيلها إلى زمن لاحق . وقد عدّ رسول الله صلّى الله عليه وآله هذا النسيء ـ استشهاداً بآية من القرآن ـ زيادة في الكفر ، وأعلن أنَّ الفرائض والأعمال العباديّة ينبغي أن يؤتى بها على طباق الشهور القمريّة ، وهي اثنا عشر شهراً ، أربعة منها حُرُم هي : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجّة ، والمحرّم . ويحرم تأجيل الحجّ وسائر الواجبات عن وقتها المعيّن في الشرع وفقاً للشهور القمريّة .

وأعلن صلّى الله عليه وآله قائلاً :

أَلَا وَإِنَّ الزَّمانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ؛ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ : ثَلَاثَةٌ مُتَوالِياتٌ : ذُو القَعْدَةِ ، وَذو الْحِجَّةِ ، وَالْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبُ مُضَرَّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ .

وكان عرب الجاهليّة بسبب تناسب الفصول من اعتدال الجوّ ، وموسم التجارة والبيع ، يحوّلون الحجّ من الأشهر القمريّة إلى الشمسيّة ، وهو عمل خاطئ. وفي هذه السنة ، وهي السنة العاشرة من الهجرة استدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض . وبلغ الحجّ في الشهور القمريّة على أساس الوقت الذي كان قد عُيِّن له .

وبحول الله وقوّته تبسّطتُ في الحديث عن هذا الموضوع ، والتحقيق لاستقصاء أطرافه وجوانبه ، وبرهنتُ على أنَّ التقويم القمريّ ضرورة من ضرورات الإسلام . وأنَّ إلحاق التأريخ الشمسيّ بالقمريّ كما هو مألوف في عصرنا هذا عمل خاطئ قد طُبِّق اليوم نتيجة الغفلة عن مفاسده ومثالبه . ويجب على الأقطار الإسلاميّة كافّة ـ تبعاً لضرورة الدين ـ أن تترك التأريخ الشمسيّ الذي شاع في أوساطها بسبب تغلغل الاستعمار الكافر .

إنَّ أحد الأركان المهمّة للوحدة الإسلاميّة توحيد التأريخ الذي ينبغي أن يُعمَلَ به على أساس التأريخ الهجريّ القمريّ الذي لا ريب فيه من حيث اتّفاق المسلمين وإجماعهم عليه ، ومن منظار التأريخ ، والحديث ، والسيرة النبويّة الشريفة .

وأتممتُ هذا البحث الرائع والنفيس جدّاً ، فأصرّ بعض العلماء والأعلام على طبعه في رسالة مستقلّة ليكون في متناول أيدي الناس عامّتهم ، ولا تقتصر الاستفادة منه على من يطالع كتاب «معرفة

الإمام» فحسب .

فلبّيتُ طلبهم ، ودوّنت هذا البحث بحذافيره في رسالة مستقلّة تحت عنوان «**رسالة جديدة في بناء الإسلام على الشهور القمريّة**» ليستهدي به أُولو البحث والتحقيق جميعهم . **وما أجري إلّا على الله، عليه توكّلت وإليه أُنيب والله غاية المسؤول ونهاية المأمول .**

مشهد المقدّسة قريب من ظهر يوم الثاني والعشرين

من المحرّم سنة ١٤٠٦ ه

السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ

تفسير آية:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾

بناء الإسلام على الشهور القمرية

بِسْــمِ اللَهِ الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيم
وصلَّــى اللهُ علــى محمّــد وآلــه الطَّاهــرين
ولعنة اللَه على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين
ولا حــول ولا قــوّة إلّا باللَه العلــيّ العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ * وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ * ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ * ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُوا ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا قَوْلَ ٱلزُّوْرِ .[1]

بعد الطواف والسعي وبيان حكم التمتّع لمن لم يكن معهم

١ـ الآيات ٢٦ إلى ٣٠ ، من السورة ٢٢ : الحجّ .

هَدْي توقّف **رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم** في **الأبطح** شرقيّ مكّة أيّاماً قبل حلول الحجّ مع جميع من يخصّه من أهل بيته ولا سيّما بضعته الكريمة **فاطمة الزهراء عليها السلام** سيّدة نساء العالمين وأولادها الصغار الذين رافقوها في تلك السفرة : **الإمام الحسن** ، **والإمام الحسين** ، **وزينب** ، **وأُمّ كلثوم عليهم السلام** وكانت أعمارهم تتراوح بين السابعة والثامنة ، وأقلّ من ذلك . وكانت حاملاً **بالمحسن عليه السلام** كما تفيد القرائن .

وفي ضوء ما قيل إنّه دخل مكّه في يوم الأحد الرابع من ذي الحجّة ، فإنّه توقّف أربع ليال أُخرى في مكّة ؛[1] وخطب في اليوم السابع الذي يسمّونه : **يَوْم الزِّينَةِ** ، لأنّه يزيّن فيه البدن بالجلال ،[2] وخطب في اليوم الثامن وهو يوم التَرْويَة وأخبرهم بمناسكهم .[3] وتوجّه إلى منى يوم الخميس ، وهو يوم **التروية** ، قبل الزوال وقيل بعده ، وأمر المتمتّعين في ذلك اليوم أن يحرموا من مكّة ويلبّوا [متّجهين إلى **منى**] .[4]

وفي ضوء ذلك ، فإنّ جميع المتمتّعين الذين أحلّوا من

١ـ «البداية والنهاية» ج ٥ ، ص ١٦٦ ، الطبعة الأُولى ، سنة ١٣٥١ هـ ، مطبعة السعادة ـ مصر .

٢ـ «البداية والنهاية» ج ٥ ، ص ١٦٩ ؛ و «الطبقات» لابن سعد ، ج ٢ ، ص ١٧٣ .

٣و٤ـ «البداية والنهاية» ج ٥ ، ص ١٦٩ .

إحرامهم بأمره منذ اليوم الرابع ، بقوا محلّين حتّى اليوم الثامن (التروية) ماعدا الرسول الأعظم وأمير المؤمنين عليهما السلام ومن ساق معه **الهَدْي** . ثمّ أحرموا في ذلك اليوم وتوجّهوا إلى منى :

جاء رسول الله إلى **منى** ، وصلّى **الظهر** ، **والعصر** ، **والمغرب** ، **والعشاء** فيها ، ثمّ مكث حتّى الصباح ؛ فصلّى **الفجر** فيها أيضاً وذلك يوم التاسع ، وهو يوم عرفة . ثمّ توجّه إلى عرفات . ولا خلاف في أنّ رسول الله صلّى هذه الصلوات الخمس في **منى** . وحتّى الذين قالوا إنّه تحرّك يوم التروية بعد زوال الشمس ، صرّحوا بأنّه صلّى الظهر **بمنى** .[1]

وعلى هذا الأساس ، وبناءً على أصل الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام فإنّ من المستحبّ المؤكّد هو أنّ على الحجّاج أن لا يذهبوا من مكّة إلى عرفات مباشرة ، بل عليهم أن يبيتوا ليلة عرفة **بمنى** ، ويتوجّهوا إلى عرفات صبيحة يوم عرفة .

وقد تحرّك صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى **عَرَفَات** صبيحة يوم عرفة بعد طلوع الشمس ، وأمر أن يضربوا قبابهم **بنَمِرَة** .[2]

١ـ «البداية والنهاية» ج ٥ ، ص ١٧٠ .

٢ـ نَمِرَة ـ بفتح النون وكسر الميم ـ ناحية بعرفة نزل بها النبيّ صلّى الله عليه وآله. وقيل : الحرم من طريق الطائف على طرف عرفة من نمرة على أحد عشر ميلاً. («معجم البلدان» ج ٨ ، باب النون والميم) .

ولأنّ قريش كانوا يرون أنّهم أهل الحرم ، لذا فقد كانوا لا يخرجون من المشعر الحرام الذي هو داخل الحرم أثناء الحجّ ، ويجعلون وقوفهم عند المشعر . وكانوا يقولون : إنّ الوقوف في **عرفات** ، وهي خارج الحرم لغير قريش . ومن هذا المنطلق فإنّ رسول الله لمّا تحرّك من منى ، لم تشكّ قريش ـ وهو منها ـ أنّه سيقف في المشعر ؛ إلّا أنّ ظنّها لم يصدق ، إذ إنّه توجّه من منى إلى عرفات ونزل **قبّة** قد ضربت له **بـنَمِرَة** .[1] ووفقاً لقوله تعالى : **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**.[2و3] ، فإنّه جعل الوقوف في عرفات . وتحرّك من هناك إلى

١ـ «البداية والنهاية» ج ٥ ، ص ١٧٠ ؛ و «السيرة الحلبيّة» ج ٣ ، ص ٢٨٩ ؛ و«الوفاء بأحوال المصطفى» ج ١ ، ص ٢١١ .

٢ـ نقل في «السيرة الحلبيّة» ج ٣ ، ص ٢٨٩ ، عن ابن الجوزيّ قوله : حجّ [رسول الله] صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قبل النبوّة وبعدها حججاً لا يُعلم عددها . أي : وكان قبل النبوّة يقف بعرفات ويفيض منها إلى مزدلفة مخالفاً لقريش توفيقاً له من الله ، فإنّهم كانوا لا يخرجون من الحرم . فإنّهم قالوا : نحن بنو إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأهل الحرم وولاة البيت وعاكفو مكّة . فليس لأحد من العرب منزلتنا ، فلا تعظّموا شيئاً من الحلّ . أي : كما تعظّمون الحرم ، فإنّكم إن فعلتم ذلك استخفّت العرب بحرمكم ، وقالوا : قد عظّموا من الحلّ مثل ما عظّموا من الحرم . فليس لنا أن نخرج من الحرم . نحن الحمس . فتركوا الوقوف بعرفة والإفاضة منه إلى المزدلفة، ويرون ذلك لسائر العرب .

٣ـ الآية ١٩٩ ، من السورة ٢ : البقرة .

المشعر الحرام ، ثمّ إلى منى لأداء مناسك منى .

أجل ،كان رسول الله في قبّته بعرفات حتّى إذا زالت الشمس أمر بناقته **القَصْواءِ** ،[1] فرحلت ، ثمّ أتى بطن الوادي ، فخطب الناس قائلاً :

إنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ ؛ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ؛ فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ؛ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ؛ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ تَحْتَ قَدَمِي ؛ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ ؛ وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ ـ وَكَانَ مُسْتَرْضِعاً فِي «بَنِي سَعْدٍ» فَقَتَلَهُ «هُذَيْلٌ» ـ.

وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ؛ وَأَوَّلُ رِباً أَضَعُ رِبَانَا رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإنَّهُ مُوْضُوعٌ كُلُّهُ .[2]

وَاتَّقُوا اللَهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذتُموهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ ؛ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَداً تَكْرَهُونَهُ ؛ فَإِنْ فعلْنَ ذَلِك فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ ![3]

١ـ القَصواء ، بفتح القاف والمدّ . وقيل : بضمّ القاف والقصر : قُصْوى وهو خطأ. وهذه الناقة غير العَضْباء والجَدْعاء . وما قيل إنّها أسماء لناقة واحدة فهو خطأ أيضاً. («السيرة الحلبيّة» ٣ : ٢٩٨) .

٢ـ نقل ابن الأثير أكثر فقرات هذه الخطبة في «الكامل» ج ٢ ، ص ٣٠٢.

٣ـ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ : بَرَّحَ بِهِ الأَمْرُ : أتعبه وجهده وآذاه أذىً شديداً.

وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ .

وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ : كِتَابَ اللَهِ ! [1]

وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟!

قَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ !

فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا عَلَى النَّاسِ : اللَهُمَّ اشْهَد ! اللَهُمَّ اشْهَدْ ! اللَهُمَّ اشْهَدْ ! ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . [2]

يقول **عمرو بن خارجة** : بعثني **عَتّاب بن أُسَيْد** إلى **رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم** في حاجة ، ورسول الله واقف بعرفة ، فبلغته ثمّ وقفت تحت ناقته وأنّ لعابها ليقع على رأسي ، فسمعته

١ـ جاء في «سيرة ابن هشام» ج ٤ ، ص ١٠٢٣ : كتاب الله وسنّة نبيّه . وجاء في «تاريخ اليعقوبيّ» طبعة بيروت ١٣٧٩هـ، ج ٢ ، ص ١١١ : كتاب الله وعترتي أهل بيتي . وفي ضوء ذلك، فإنّ الظنّ يغلب على أنّ الروايات كلّها ذكرت قوله : وعترتي أهل بيتي . غاية الأمر أنّ هذه العبارة قد حذفت في الكتب المذكورة . وحرّفت في «سيرة ابن هشام» إذ استبدلت بها عبارة: وسنّة نبيّه .

٢ـ «البداية والنهاية» ج ٥ ، ص ١٧٠ ؛ و «سيرة ابن هشام» ج ٤ ، ص ١٠٢٢ و ١٠٢٣ ؛ و«السيرة الحلبيّة» ج ٣ ، ص ٢٩٨ و ٢٩٩ ؛ و «بحار الأنوار» طبعة كمباني ج ٦ ، ص ٦٦٨ عن كتاب «المنتقى» ؛ و «روضة الصفا» ج ٢ ، حجّة الوداع ؛ و «تاريخ الطبريّ» ج ٣ ، ص ١٥٠ و ١٥١ من الطبعة الثانية لدار المعارف ؛ و «الوفاء في أحوال المصطفى» ج ١ ، ص ٢١٢ ؛ و«الكامل في التاريخ» ج ٢ ، ص ٣٠٢ ؛ ومحمّد حسنين هيكل في كتاب «حياة محمّد» ص ٤٦١ إلى ٤٦٣ .

يقول :

أَيُّهَا النَّاسُ : إنَّ اللهَ أَدَّى إلَى كُلِّ ذِي حَقٍ حَقَّهُ ؛ وَإنَّهُ لَا يَجُوزُ وَصِيَّةً لِوَارِثٍ ؛[1] **وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ؛ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ ؛ وَمَن ادَّعَى إلَى غَيْرِ أبِيهِ ، أوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ اللهُ لَهُ صَرْفاً وَلَا عَدْلاً .**[2]

كان **رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم** ينشئ هذه الخطبة **وربيعة بن أُمَيَّة بن خَلَف** ، وهو جَهْوَرِيّ الصوت ، يُنادي بها في الناس ، ورسول الله يقول له : قل : أيّها الناس ! إنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول : ...[3]

وبعد خطبة رسول الله ، أذّن **بَلَال** ، ثمّ أقام ، فصلّى الظهر ، ثمّ أقام [بلال] ، فصلّى العصر .

وما يفيده هذا الكلام هو أنّ رسول الله خطب بعد حلول وقت

١ـ الشاهد على ذلك ما جاء في «الطبقات» لابن سعد ، ج ٢ ، ص ١٨٣ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال في هذه الخطبة : **إنَّ اللهَ قَسَّمَ لِكُلِّ إنسانٍ نَصِيبَهُ مِنَ المِيرَاثِ ، فَلَا يَجُوزُ لِوَارِثٍ وَصِيَّةٌ . وأَمَّا الوَصِيَّةُ الَّتِي لَا تضيّع حَقَّهم كَمَا فِي الوَصِيَّةِ مِنَ الثُّلُثِ المُجَازِ فِيهِ ، فَلَا إشْكَالٌ فِيهَا .**

٢ـ «البداية والنهاية» ج ٥ ، ص ١٧١ ، رواه [عن محمّد بن إسحاق] الترمذيّ ، والنسائيّ ، وابن ماجة ؛ و «السيرة الحلبيّة» ج ٣ ، ص ٣٠٠ ؛ و «الطبقات الكبرى» لابن سعد ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .

٣ـ «البداية والنهاية» ج ٥ ، ص ١٧١ ؛ «السيرة الحلبيّة» ج ٢ ، ص ٢٩٩ .

الظهر ، ثمّ جمع بين الظهر والعصر ؛ وهل كانت صلاة الظهر هذه هي صلاة الجمعة ، إذ صلّى ركعتين وخطب قبلهما ؛ أوكانت صلاة الظهر دون كيفيّة صلاة الجمعة ،كلّ ما في الأمر أنّ خطبة قد أُلقيت قبلها ؟ ولمّا كان ذلك اليوم هو يوم الجمعة ، وكان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قد جمع بين الظهر والعصر ، وخطب قبل الصلاة ، فيمكن أن نقول : إنّ الصلاة كانت صلاة الجمعة . لا سيّما وأنّ الرواية المأثورة عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه ، عن جابر في حِجَّة الوَداع تعضد ذلك .

قال جابر : «راح النبيّ إلى الموقف بعرفة ، فخطب الناس الخطبة الأُولى ، ثمّ أذّن بلال ؛ ثمّ أخذ النبيّ في الخطبة الثانية ، ففرغ من الخطبة وبلال من الأذان ؛ ثمّ أقام بلال ، فصلّى الظهر ؛ ثمّ أقام ، فصلّى العصر» ؛[1] وبنوا على صلاة الجمعة من الخطبتين اللتين كانتا بعد زوال الشمس ، ومن الجمع بين صلاتي الظهر والعصر .

ولمّا كان رسول الله مسافراً ، وصلاة الجمعة لا تجب على المسافر ، وكانت الخطبة بعد الزوال لتهيئة المسلمين للعبادة ،كما أنّ الجمع بين الظهر والعصر كان لهذا الغرض ، ولم تثبت الخطبتان عن النبيّ ، خصوصاً وقد صلّى الظهر إخفاتا لا جهراً كما يفيده بحث **مالك** مع **أبي يوسف** بحضور هارون الرشيد ، فيمكننا أن نستنتج من

١ـ «البداية والنهاية» ج ٥ ، ص ١٧٢ .

ذلك كلّه أنّه لم يصلّ الظهر على صورة الجمعة .[1]

وبعد الصلاة ركب **رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم** راحلته ، إلى أن أتى الموقف ؛ فاستقبل القبلة ، ولم يزل واقفاً للدعاء من الزوال إلى الغروب . وفي الحديث : أفضل الدعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيّون من قبلي ، أي في يوم عرفة : **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .**

واستمرّ يدعو حتّى غربت الشمس . وجاءه جماعة من **نجد** ، فسألوه عن صورة الحجّ ، فأمر منادياً ينادي **الْحَجُّ عَرَفَةٌ** ؛ **مَنْ جَاءَ لَيْلَةَ جَمْعٍ ـ أَي : الْمُزْدَلِفَةَ ـ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ ، فَقَدْ أَدْرَكَ الْحَجَّ** .[2]

وكان رسول الله راكباً على ناقته **العَضْبَاء** ؛ ولمّا غربت الشمس ، أردف **أُسامة بن زيد** خلفه ، وتوجّه إلى **المُزْدَلَفَة** ، وهو يأمر الناس بالسكينة في السير . ولمّا كان في الطريق عند **الشِعْب الأَبْتَر** ، نزل فيه فبال وتوضّأ وضوءاً خفيفاً .[3]

وجاء بلا تأخير ، حتّى وصل **المُزْدَلَفَة** ، فصلّى المغرب

١و٢ـ «السيرة الحلبيّة» ج ٣ ، ص ٣٠٠ ؛ «والبداية والنهاية» ج ٥ ، ص ١٧٣ إلى ١٧٥ .

٣ـ «السيرة الحلبيّة» ج ٣ ، ص ٣٠١ . وكان هذا التبوّل بسبب نحت الأصنام في الجاهليّة من ذلك الجبل .

والعشاء جامعاً بينهما بأذان واحد وإقامتين ؛[1] واضطجع بعد ذلك . وأذن للنساء والضعفة من الصبيان أن يذهبوا إلى **مِنَى** بعد منتصف الليل . ويقول ابن عبّاس : أرسلني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مع ضعفة أهله لآتي بهم إلى مِني بعد نصف الليل . وأوصى أن لا يرموا جَمْرَة العقبة حتّى تطلع الشمس .

فلمّا كان وقت الفجر ، قام صلّى الله عليه وآله وسلّم وصلّى بالناس الصبح بمزدلفة مغلساً . ثمّ أتى **المَشْعَرَ الْحَرَام** فوقف به ، وهو راكب ناقته ، واستقبل القبلة ، ودعا الله ، وكبّر ، وهلّل ، ووحّد ، حتّى أسفر الصبح .[2]

وتوجّه إلى مِني راكباً ، وأردف خلفه **الفَضْل بن العَبَّاس** . فلمّا وصل **وادي مُحَسَّر** ، حرّك ناقته قليلاً ، وسلك الطريق التي تسلك على **جَمْرَة العقَبَة** ، فرمى بها من أسفلها سبع حصيّات التقطها له عبد الله بن عبّاس . وصار يكبّر عند رمي كلّ حصاة .

وجاء في «البداية والنهاية» ج ٥ ، ص ١٨٧ عن مسلم ، عن يحيى بن الحصين ، عن جدّته أُمّ الحصين ، وكذلك بسند آخر عن جابر بن عبد الله ، قال : **رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ يَرْمِي الْجَمْرَةَ عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ وَيَقُولُ : لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإنّي لَا أدْرِي لَعَلّي لَا أحُجُّ**

١ـ «البداية والنهاية» ج ٥ ، ص ١٨٠ .

٢ـ «السيرة الحلبيّة» ج ٣ ، ص ٣٠١ ، طبعة مصر ، سنة ١٣٥٣ هـ .

بَعْدَ حِجَّتِي هَذِهِ .

وخطب صلّى الله عليه وآله وسلّم فيما بين رمي الجمرات ، وهو راكب ناقة أو بغلة شهباء .[1] والناس بين قائم وقاعد يستمعون إليه .[2] وكان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يصيح بها في الناس بصوت عال .[3]

ونقل فيما يلي هذه الخطبة عن «تاريخ اليعقوبيّ» :

نَضَّرَ اللهُ وَجْهَ عَبْدٍ سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا ثُمَّ بَلَّغَها مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ .

ثَلاثٌ لَايَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِم : إخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلّهِ ؛ وَالنَّصِيحَةُ لِأَئِمَّةِ الْحَقِّ ؛ وَاللُّزُومُ لِجَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَإنَّ دَعْوَتَهُمْ مُحِيطَةٌ مِنْ وَرَائِهِمْ .[4]

١ـ البغلة الشهباء وهي التي فيها بياض يتخلّله سواد .

٢ـ «السيرة الحلبيّة» ج ٣ ، ص ٣٠٢ .

٣ـ «البداية والنهاية» ج ٥ ، ص ١٩٩ . وكذلك في حديث آخر جاء في ص ١٩٨ .

٤ـ جاءت هذه الخطبة في «المجالس» للشيخ المفيد ، طبعة النجف ص ١٠٠ و ١٠١ . وذكر فيها قوله : **نصر الله** بدلاً عن **نَضَّر الله** . وذكر فيها أيضاً قوله: **والنَّصيحة لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَاللُّزُوم لجماعتهم** . ونقل في آخرها : **الْمُؤْمِنُونَ إخْوَةٌ ، تَتَكافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ يَدٌ وَاحِدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ** . وجاء هذا ⇦

وبعد ذلك قال : يا ربيعة (ربيعة بن أُمَيَّة بن خلف) قـل : أيّـها الناس ! يقول رسـول اللـه : **لَعَلَّكُمْ لَا تَلْقَونَنِي عَلَى مِثْلِ حَالِي هَذِهِ وَعَلَيْكُمْ هَذَا ! هَلْ تَدْرُونَ أَيَّ بَلَدٍ هَذَا ؟ وَهَلْ تَدْرُونَ أَيَّ شَهْرٍ**

⇦ التعبير في «روضة البحار» طبعة كـمباني ج ١٧ ، ص ٣٩ نـقلاً عـن «المـجالس» للمفيد. إلّا أنّ ما جاء في الطبعة الحديثة منه ج ٧٧، ص ١٣٠ هو قوله : **نَضَّرَ الله.** ونسب في «تحف العقول» ص ٤٢ هذه الخطبة إلى رسول‌الله في مسجد الخيف. وجاءت بهذا المضمون في «المجالس» للمفيد . وفي طبعة كمباني لـ «بحار الأنوار» ج ١٧ ، ص ٤٢ . جاءت كلمة نَصَرَ بسبب النقل عن كتاب «تحف العقول». وذكر في الطبعة الحديثة لـ «تحف العقول» ج ٧٧ ، ص ١٤٦ **نَضَّرَ** بالضاد المعجمة. وجاء في «بحار الأنوار» طبعة كمباني ج ١٥ ، الجزء الثاني ص ٨٥ : **نَضَّرَ** نقلاً عن «إكمال الدين» للصدوق، فمضمونها مع ما ذكره المفيد واحد إلّا في بعض الألفاظ . ونقل ذلك أيضاً المحدّث القمّيّ في «تتمّة المنتهى» ص ١٥٣ عن رسول الله في مسجد الخيف ، كما جاء مثله في «إكمال الدين» أيضاً . وذكر صاحب تفسير «فـي ظـلال القـرآن» فـي ص ١٢٥ من الجزء الأوّل عن الإمام أحمد بن حنبل ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله سلّم أنـّه قال : **الْمُسْلِمُونَ تَتَكافَأُ دِمَاؤُهُمْ ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ .** وذكر في «مجمع البحرين» عند كلامه عن الحديث التالي : **ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ** ، سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن معناه ، فـقال: «لو أنّ جيشاً من المسلمين حاصروا قوماً من المشركين، فأشرف رجل منهم ، فقال: أعطوني الأمان حتّى ألقى صاحبكم وأُناظره ، فأعطاهم أدناهم الأمان ، وجب على أفضلهم الوفاء به ـ انتهى . وعلى هذا الأساس آمنت زينب بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم زوجها أبا العاص الذي كان قد قدم المدينة وهو مشرك . (يرجع إلى كتاب «زينب بطلة كربلا» تأليف الدكتورة بنت الشاطئ) .

هَذَا ؟! وَهَلْ تَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ هَذَا ؟!

فَقَالَ النَّاسُ : نَعَمْ ! هَذَا الْبَلَدُ الْحَرَامُ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ وَالْيَوْمُ الْحَرَامُ !

قَالَ : فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ كَحُرْمَةِ بَلَدِكُمْ هَذَا ؛ وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا ؛ وَكَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ! أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟!

قَالُوا : نَعَمْ ! قَالَ : اللَهُمَّ اشْهَد !

ثُمَّ قَالَ : وَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا !

ثُمَّ قَالَ : النَّاسُ فِي الْإِسلَامِ سَوَاءٌ ؛ النَّاسُ طَفُّ الصَّاعِ لِآدَمَ وَحَوَّاءَ ؛ لَا فُضِّلَ عَرَبِيٌّ عَلَى عَجَمَيٍّ ؛ وَلَا عَجَمِيٌّ عَلَى عَرَبِيٍّ إِلَّا بِتَقْوَى اللهِ ! أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟!

قَالُوا : نَعَمْ ! قَالَ : اللَهُمَّ اشْهَدْ !

ثُمَّ قَالَ : كُلُّ دَمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ تَحْتَ قَدَمِي ؛ وَأَوَّلُ دَمٍ أَضَعُهُ دَمُ آدَمَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ـ وَكَانَ آدَمُ بْنُ رَبِيعَةَ مُسْتَرْضِعاً فِي هُذَيلٍ فَقَتَلَهُ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ؛ وَقِيلَ فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلَهُ هُذَيْلٌ ـ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟!

قَالُوا : نَعَمْ ! قَالَ : اللَهُمَّ اشْهَدْ !

ثُمَّ قَالَ : وَكُلُّ رِباً كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ تَحْتَ قَدَمِي ؛ وَأَوَّلُ رِباً أَضَعُهُ رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ . أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟!

قَالُوا : نَعَمْ ! قَالَ : اللَهُمَّ اشْهَدْ !

ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا النَسِيءُ [1] زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ. أَلَا وَانَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيئَةِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَإِنَّ عِدَةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ: رَجَبُ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ ، يَدْعُونَهُ مُضَرَ ؛ وَثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ: ذو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ . أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟!

قَالُوا : نَعَمْ! قَالَ : اللَهُمَّ اشْهَدْ !

ثُمَّ قَالَ : أُوصِيكُمْ بِالنِّسَاءِ خَيْراً ؛ فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ ؛ لَا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيئاً ؛ وَإِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ ؛ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكِتَابِ اللهِ ؛ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ ؛ وَلَهُنَّ عَلَيْكُم حَقٌّ كِسْوَتِهِنَّ وَرِزْقِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ؛ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَّا يُوطِئْنَ فِرَاشَكُمْ أَحَداً؛ وَلَا يَأْذَنَّ فِى بُيُوتِكُمْ إِلَّا بِعِلْمِكُمْ وَإِذْنِكُمْ؛ فَإِنْ فَعَلْنَ شَيئاً مِنْ ذَلِكَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ ! أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟!

قَالُوا : نَعَمْ ! قَالَ : اللَهُمَّ اشْهَدْ !

ثُمَّ قَالَ : فَأُوصِيكُمْ بِمَنْ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا

١ـ النسيء هو تأخير العمل بالأحكام والتكاليف المقرّرة في شهر معيّن إلى شهر آخر ووقت آخر .

تَأْكُلُونَ وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ ، وَإِنْ أَذْنَبُوا فَكِلُوا عُقُوبَاتِهِمْ إِلَى شِرَارِكُمْ. أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟!

قَالُوا : نَعَمْ ! قَالَ : اللَهُمَّ اشْهَدْ !

ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَغُشُّهُ وَلَا يَخُونُهُ وَلَا يَغْتَابُهُ ، وَلَا يَحِلُّ لَهُ دَمُهُ وَلَا شَيءٌ مِنْ مَالِهِ إِلَّا بِطِيبَةِ نَفْسِهِ . أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟!

قَالُوا : نَعَمْ ! قَالَ : اللَهُمَّ اشْهَدْ !

ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ بَعْدَ الْيَومِ ، وَلَكِنْ يُطَاعُ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِكُمُ الَّتِي تَحْتَقِرُونَ ؛ فَقَدْ رَضِيَ بِهِ . أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟!

قَالُوا : نَعَمْ ! قَالَ : اللَهُمَّ اشْهَدْ !

ثُمَّ قَالَ : أَعْدَى الْأَعْدَاءِ عَلَى اللَهِ قَاتِلُ غَيْرِ قَاتِلِهِ ، وَضَارِبُ غَيْرِ ضَارِبِهِ ؛ وَمَنْ كَفَرَ نِعْمَةَ مَوَالِيهِ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ؛ وَمَن انْتَمَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. أَلَا هل بَلَّغْتُ ؟!

قَالُوا : نَعَمْ ! قَالَ : اللَهُمَّ اشْهَدْ !

ثُمَّ قَالَ : أَلَا إِنِّي إِنَّمَا أُمِرتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَهُ وَإِنِّي رَسُولُ اللَهِ ؛ وَإِذَا قَالُوا ، عَصَموا مِنِّي دِماءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقٍّ وَحِسَابُهُم عَلَى اللَهِ ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟!

قَالُوا : نَعَمْ ! قَالَ : اللَهُمَّ اشْهَدْ !

ثُمَّ قَالَ : لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً مُضِلِّينَ يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ . إنِّي قَدْ خَلَّفْتُ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا : كِتَابَ اللَهِ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟!

قَالُوا : نَعَمْ ! قَالَ : اللَهُمَّ اشْهَدْ !

ثُمَّ قَالَ : إنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ .[1]

١ـ «تاريخ اليعقوبيّ» طبعة بيروت ١٣٧٩ هـ ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ إلى ٢١٢ . وروى السيوطيّ هذه الخطبة باختلاف يسير في عباراتها في تفسير «الدرّ المنثور» ج ٣ ، ص ٢٣٤ و ٢٣٥ بتخريج أحمد بن حنبل ، والباورديّ ، وابن مردويه ، عن أبي حمزة الرقاشيّ ، عن عمّه الذي كان من الصحابة ، وكان زمام ناقة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بيده . وجاء أصل هذه الرواية في «مسند أحمد بن حنبل» ج ٥ ، ص ٧٢ و ٧٣. ورواها المجلسيّ في «بحار الأنوار» طبعة كمباني ج ٦ ، ص ٦٦٢ و ٦٦٣ عن «الكافي» . وذكرها ابن هشام في سيرته ، ج ٤ ، ص ١٠٢٢ إلى ١٠٢٤ ، إلّا أنّ تحريفاً قد حصل في قوله : **كتاب الله وعترة نبيّه** ، فتغيّر إلى عبارة: **كتاب الله وسنّة نبيّه** . وذكرها ابن كثير في «البداية والنهاية» ج ٥ بأسناد متعدّدة ، من ص ١٩٤ إلى ٢٠١ . ونقلها البيهقيّ أيضاً في «السنن» ج ٥ ، ص ١٤٠ كتاب الحجّ . وذكرها كذلك ابن الجوزيّ في كتاب «الوفاء بأحوال المصطفى» ج ١ ، ص ٢٠٧ و ٢٠٨ . وذكرها أيضاً ابن سعد في طبقاته ، ج ٢ ، ص ١٨٣ إلى ١٨٧ . وذكرها صاحب «روضة الصفا» ج ٢ ، باب حجّة الوداع . وكذلك ذكرها عليّ بن إبراهيم في تفسيره ، في ذيل الآية: **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ** ، ص ١٥٩ إلى ١٦١ . وذكرها الطبريّ أيضاً في «تاريخ الأُمم والملوك» ج ٣، ص ١٥٠ إلى ١٥٢ . وأوردها الجاحظ في «البيان والتبيين» طبعة القاهرة ، سنة ١٣٦٧هـ ، ج ٢ ، من ص ٣١ إلى ص ٣٣ .

نقلنا هذا الخطبة الشريفة التي خطبها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في مِنى من «تاريخ اليعقوبيّ» لأنّها جاءت فيه تامّة. وذكرت في غيره من الكتب متفرّقة ومجزّأة. وكلّ جزء ومقطع منها نقله بعض الرواة؛ كما أشرنا إلى عدد من الكتب التي ذكرت فقراتها بنحو تجزيئيّ، وذلك في الهامش المتقدّم.

وهذه الخطبة في غاية البلاغة والبيان. وتضمّ مواضيع هامّة، وقوانين سياسيّة واجتماعيّة عظيمة، وتعاليم أخلاقيّة وفقهيّة. ويمكن التعويل عليها حقّاً من حيث الرصانة والمتانة والقوّة كالآيات القرآنيّة. وماكان أروع لو كتب لها شرح مفصّل؛ وطبّقت مواضيعها وفقراتها على الآيات القرآنيّة وسائر الأحاديث والأُصول المسلّمة للسنّة النبويّة، ومنهاج الآل الطاهرين من سلالته صلّى الله عليه وآله وسلّم. وكشف عمّا تضمّه من معارف. ولكن سنتحدّث هنا بشكل موسّع عن فقرة من فقراتها وذلك بغية إيضاحها، فلعلّها تحتاج إلى شرح وتوضيح أكثر، ونرجو الله المنّان أن يمنّ علينا بالتوفيق، **وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**.

وتتمثّل هذه الفقرة في قوله: **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّما ٱلنَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ**، إلى آخر ما قاله في هذا المجال. وكلامه هنا شرح وتوضيح لموضوع جاء في آيتين من القرآن الكريم هما:

إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ. [1]

وفي ضوء هاتين الآيتين الشريفتين حرّم رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم التأخير والنسيء في الشهور وأكّد موضّحاً أنّ أعمال كلّ شهر خاصّة بالشهر نفسه، فينبغي أن تقام فيه لا في غيره.

النسيء [2] مصدر كـ**النذير والنكير** من **نَسَأ الشَيْءَ يَنْسَؤُهُ نَسْأ وَمَنْسَأةَ وَنَسيئاً: إذا أخَّرَهُ تأخِيراً.**

يقول الشيخ الطبرسيّ: وكانت العرب تحرم الشهور الأربعة

١ـ الآيتان ٣٦ و ٣٧، من السورة ٩: التوبة.

٢ـ جاء في «النهاية» لابن الأثير، ج ٢، ص ١٣٩، في مادّة دَوَرَ، وفي الحديث **إنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**، يقال: **دَارَ يَدُوُر وَاسْتَدَارَ يَسْتَدِيرُ** بمعنى إذا طاف حول الشيء، وإذا عاد إلى الموضع الذي ابتدأ منه. ومعنى الحديث: أنّ العرب كانوا يؤخّرون المحرّم إلى صفر، وهو **النسيء** ليقاتلوا فيه، ويفعلون ذلك سنة بعد سنة. فينتقل المحرّم من شهر إلى شهر حتّى يجعلوه في جميع شهور السنة. فلمّا كانت تلك السنة، كان قد عاد إلى زمنه المخصوص به قبل النقل، ودارت السنة كهيئتها الأُولى. ولذلك قال رسول الله هكذا.

[رجب ، وذي القعدة ، وذي الحجّة ، ومحرّم] وذلك ممّا تمسّكت به من ملّة إبراهيم وإسماعيل [عليهما السلام] وهم كانوا أصحاب غارات وحروب ، فربّما كان يشقّ عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغزون فيها ، فكانوا يؤخّرون تحريم المحرّم إلى صفر فيحرّمونه ، ويستحلّون المحرّم فيمكثون بذلك زماناً ، ثمّ يُأوّل التحريم إلى المحرّم ، ولا يفعلون ذلك إلّا في ذي الحجّة .

قال **الفرّاء** : والذي كان (يقوم به) رجل من **كَنَانَة** يُقال له : **نُعَيْم بن ثَعْلَبَة** . وكان رئيس الموسم [في الحجّ] فيقول : أنا الذي لا أُعاب ولا أُخاب ، ولا يردّ لي قضاء !

فيقولون : نعم صدقت ! أنسئنا شهراً ! أو أخّر عنّا حرمة المحرّم ! واجعلها في صفر ! وأحلّ المحرّم ! فيفعل ذلك .

والذي كان ينسأها حين جاء الإسلام : **جُنَادَة بن عَوْف بن أُمَيَّة الكَنَانِيّ** ، قال ابن عبّاس : وأوّل من سنّ **النسيء** : **عَمْرُو بْنُ لَحَي بن قُمَعَة بن خِنْدِف** . وقال أبو مسلم بن أسلم : بل رجل من بني كنانة ، يقال له : **القَلَمَّس** ، كان يقول : إنّي قد نسأت المحرّم العام ، وهما العام صفران . فإذا كان العام القابل قضينا فجعلناهما محرّمين . قال شاعرهم :

*** وَمِنّا نَاسِئُ الشَّهْرِ الْقَلَمَّس ***

وقال **الكُمَيْت** :

وَنَحْنُ النَّاسِئُونَ عَلَى مُعَدٍّ شُهُورَ الْحِلِّ نَجْعَلُهَا حَرَاماً

وقال **مَجَاهِد** :كان المشركين يحجّون في كلّ شهر عامين . فحجّوا في ذي الحجّة عامين ، ثمّ في المحرّم عامين ، ثمّ حجّوا في صفر عامين . وكذلك في الشهور حتّى وافقت الحجّة التي قبل حجّة الوداع في ذي القعدة . ثمّ حجّ النبيّ **صلّى الله عليه وآله وسلّم** في العام القابل حجّة الوداع ، فوافقت في ذي الحجّة ، فذلك حين قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وذكر في خطبته : **أَلَا وَإِنَّ الزَّمانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ؛ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلَاثَةٌ مُتَوالِياتٌ : ذُو القَعْدَةِ وَذوالْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ مُضَرُّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ .**

أراد [صلّى الله عليه وآله وسلّم] الأشهر الحرم رجعت إلى مواضعها ، وعاد الحجّ إلى ذي الحجّة ، وبطل النسيء .[1]

وقال صاحب «تفسير **أبي السُّعُود**» بعد ذكره الأشهر الحرم ، وخطبة رسول الله في حجّة الوداع ، وقوله : **إنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ . وَإِنَّ الشُّهُورَ اثْنَا عَشَرَ شهراً :** والمعنى رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه من الحلّ والحرمة . وعاد الحجّ إلى ذي الحجّة بعدما كانوا أزالوه عن محلّه **بالنسيء** الذي أحدثوه في الجاهليّة . وقد وافقت حجّة الوداع ذا الحجّة . وكانت

١ـ «مجمع البيان» طبعة صيدا ، ج ٣ ، ص ٢٩ .

حجّة أبي بكر قبلها في ذي القعدة.[1]

ومثل هذا التفسير المذكور في «مجمع البيان» وتفسير «أبي السُّعود» يلاحظ في أغلب التفاسير؛ وخلاصة ما نستنتجه هو أنّ تغييرين كانا يحصلان عند عرب الجاهليّة: الأوّل: تغيير الأشهر الحرم بتحويلها من وقت لآخر، كما في تحويل المحرّم إلى شهر صفر؛ والثاني: تغيير في الحجّ، يرفع الحجّ به من ذي الحجّة فيقع في شهور أُخر، يدور فيها، حتّى يعود ثانية إلى محلّه الأصليّ. ويطلق على هذين التأخيرين: **النَّسِيء**.

والشاهد على التغيير الأوّل، أي تغيير حرمة الأشهر الحرم إلى شهور أُخرى أحاديث وروايات متنوّعة:

فقد جاء في تفسير «**الدرّ المنثور**» قوله: أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن ابن عمر، قال: **وَقَفَ رَسُولُ اللهَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ بِالْعَقَبَةِ، فَقَالَ: إنَّ النَّسِيءَ مِنَ الشَّيْطَانِ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ، يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا؛ يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهَ عَامًا؛ وَيُحَرِّمُونَ صَفَرَ عَامًا وَيَسْتَحِلُّونَ الْمُحَرَّمَ وَهُوَ النَّسِيءُ.**[2]

وذكر أيضاً في «الدرّ المنثور» أنّ ابن جرير، وابن منذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه أخرجوا عن ابن عبّاس أنّه قال: **كَانَ**

١ـ «تفسير أبي السعود» ج ٢، ص ٥٤٨.

٢ـ تفسير «الدرّ المنثور» ج ٣، ص ٢٣٦؛ وتفسير «الميزان» ج ٩، ص ٢٨٦.

جَنَادَةُ بْنُ عَوْفٍ الْكِنَانِيُّ يُوفِي الْمَوْسِمَ كُلَّ عَامٍ ، وَكَانَ يُكَنَّى أَبَا ثُمَادَةَ ، فَيُنَادِي : أَلَا إنَّ أَبَا ثُمَادَةَ لَا يَخَافُ وَلَا يُعَابُ ؛ أَلَا إن صَفَرَ الْأَوّلَ حَلَالٌ .[1]

وَكَانَ طَوائِفُ مِنَ الْعَرَبِ إذَا أَرَادُوا أَنْ يُغيرُوا عَلَى بَعْضِ عَدُوِّهِمْ أَتَوْهُ فَقَالُوا أَحِلَّ لَنَا هَذَا الشَّهْرَ ـ يَعْنُونَ : صَفَرَ ـ وَكَانَتِ الْعَرَبُ لَا تُقَاتِلُ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ ، فَيُحِلّهُ لَهُمْ عَامًا وَيُحَرّمُهُ عَلَيْهِمْ فِي الْعَامِ الْآخَرِ . وَيُحَرِّمُ الْمُحَرَّمَ فِي قَابِلٍ لِيُواطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَهُ ، يَقُولُ : لِيَجْعَلُوا الْحُرُمَ أَرْبَعَةً غَيْرَ أَنَّهُمْ جَعَلُوا صَفَرَ عَاماً حَلَالاً وَعاماً حَرَاماً .[2]

وفيه أيضاً : أخرج ابن منذر عن قتادة في الآية : «**إِنَّمَا ٱلنَّسِىءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ**» قال : **عَمَدَ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ فَزَادُوا صَفَرَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ . وَكَانَ يَقُومُ قَائِمُهُمْ في الْمَوْسِمِ ، فَيَقُولُ : إنَّ آلِهَتَكُمْ**

١ـ نقل العلّامة الطباطبائيّ رضوان الله عليه في ج ٩ ، ص ٢٨٧ من «الميزان» عن السيوطيّ في كتاب «المزهر» : أنّ العرب قبل الإسلام كانت تسمّي المحرّم : صفر الأوّل، وصفر : صفر الثاني . وهما صفران كالربيعين والجماديين . والنسيء إنّما ينال صفر الأوّل ولا يتعدّى صفر الثاني . فلمّا أقرّ الإسلام الحرمة لصفر الأوّل ، عبّروا عنه **بشهر الله المحرّم** ، ثمّ لمّا كثر الاستعمال ، خفّف ، وقيل : **المحرّم** . واختصّ اسم صفر بصفر الثاني . فالمحرّم من الألفاظ الإسلاميّة .

٢ـ تفسير «الدرّ المنثور» ج ٣ ، ص ٢٣٦ و ٢٣٧ ؛ وتفسير «الميزان» ج ٩ ، ص ٢٨٦ و ٢٨٧ .

قَدْ حَرَّمَتْ صَفَرَ ، فَيُحَرِّمُونَهُ ذَلِكَ الْعَامَ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُمَا : الصَّفَرَانِ .

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ نَسَأَ «النَّسِيءَ» بَنُو مَالِكٍ مِنْ كِنَانَةَ ، وَكَانُوا ثَلاثَةً : أَبُو ثُمَامَةَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ، أَحَدُ بَنِي فَقِيمِ بْنِ الْحَارِثِ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي كِنَانَةَ .[1]

وفيه أيضاً : أخرج ابن أبي حاتم عن السدّيّ في الآية الشريفة ، قال : **كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ يُقَالُ لَهُ : جُنَادَةُ بْنُ عَوْفٍ يُكَنَّى أَبَا أُمَامَةَ يُنْسِئُ الشُّهُورَ ؛ وَكَانَتِ الْعَرَبُ يَشْتَدُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَمْكُثُوا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ لَا يُغِيرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يُغَيِّرَ عَلَى أَحَدِهِمْ قَامَ يوماً بِمِنًى فَخَطَبَ فَقَالَ : إِنِّي قَدْ أَحْلَلْتُ الْمُحَرَّمَ وَحَرَّمْتُ صَفَرَ مَكَانَهُ . فَيُقَاتِلُ النَّاسُ فِي الْمُحَرَّمِ ، فَإِذَا كَانَ صَفَرُ عَمَدُوا وَوَضَعُوا الْأَسِنَّةَ ثُمَّ يَقُومُ فِي قَابِلٍ فَيَقُولُ : إِنِّي قَدْ أَحْلَلْتُ صَفَرَ وَحَرَّمْتُ الْمُحَرَّمَ فَيُوَاطِئُوا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَيُحِلُّوا الْمُحَرَّمَ .**[2]

وجاءت فيه روايتان أُخريان بتخريج ابن مردويه ، عن ابن عبّاس ، وهما تفسّران الآية الشريفة على نفس النسق .[3]

والشاهد على التغيير الثاني ، أي : تغيير وقت الحجّ من موعده المحدّد إلى موعد آخر ، ودورانه في جميع شهور السنة ، ليرجع مرّة

١و٢ـ تفسير «الدرّ المنثور» ج ٣ ، ص ٢٣٧ ؛ وتفسير «الميزان» ج ٩ ، ص ٢٨٧ .

٣ـ تفسير «الدرّ المنثور» ج ٣ ، ص ٢٣٧ .

أُخرى إلى ذي الحجّة ، فيتمّ بذلك دورته ، روايات وأحاديث مأثورة :

فقد جاء في «الدرّ المنثور» : أخرج الطبرانيّ ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه قال : **كَانَتِ الْعَرَبُ يُحِلُّونَ عَاماً شَهْراً ، وَعَاماً شَهْرَيْنِ ، وَلاُ يُصيبُونَ الْحَجَّ إلَّا فِي كُلِّ سِتَّةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً مَرَّةً ، وَهُوَ النَّسِيءُ الَّذِي ذَكَرَ اللَهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ .**

فَلَمَّا كَانَ عَامُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ثُمَّ حَجَّ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَاسْتَقْبَلَ النَّاسُ الْأهِلَّةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ : إِنَّ الزَّمَانَ قَدر اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ .[1]

وجاء فيه أيضاً : أخرج أحمد بن حنبل ، والبخاريّ ، ومُسْلم ، وأبو داود ، وابن منذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقيّ في كتاب «شعب الإيمان» عن أبي بكرة قال :

خَطَبَ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ في الحَجِّ ، فَقَالَ : أَلَا إنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلَاثَةٌ مُتَوالِياتٌ : ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبُ مُضَرُ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى

۱ـ تفسير «الدرّ المنثور» ج ۳ ، ص ۲۳٦ ؛ وتفسير «الميزان» ج ۹ ، ص ۲۸۹ .

وَشَعْبَانَ. [1]

وورد فيه أيضاً : أخرج البزّاز ، وابن جرير ، وابن مردويه عن أبي هريرة بهذا المضمون. [2] وأخرج ابن جرير ، وابن منذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، عن ابن عمر. [3] وأخرج ابن منذر ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه ، عن ابن عبّاس. [4]

وجاء فيه أيضاً : أخرج عبد الرزّاق ، وابن منذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، عن مُجَاهِد أنّه قال في تفسير الآية : **إِنَّمَا ٱلنَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ: فَرَضَ اللَهُ الْحَجَّ في ذِي الْحِجَّةِ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يُسَمُّونَ الْأَشْهُرَ: ذُوالْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَصَفَرُ وَرَبِيعٌ وَرَبِيعٌ وَجُمَادَى وَجُمَادَى وَرَجَبُ وَشَعْبَانُ وَرَمَضَانُ وَشَوَّالُ وَذُوالْقَعْدَةِ وَذُوالْحِجَّةِ ثُمَّ يَحُجُّونَ فِيهِ.**

ثُمَّ يَسْكُتُونَ عَنِ الْمُحَرَّمِ فَلَا يَذْكُرُونَهُ ، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيُسَمُّونَ صَفَرَ صَفَرَ ، ثُمَّ يُسَمُّونَ رَجَبَ جُمَادَى الآخِرَةَ ، ثُمَّ يُسَمُّونَ شَعْبَانَ رَمَضَانَ، وَرَمَضَانَ شَوَّالَ ، وَيُسَمُّونَ ذَا الْقَعْدَةِ شَوَّالَ ، ثُمَّ يُسَمُّونَ ذَا الْحِجَّةِ ذَا الْقَعْدِةِ، ثُمَّ يُسَمُّونَ الْمُحَرَّمَ ذَا الْحِجَّةِ ، ثُمَّ يَحُجُّونَ فِيهِ

---

١ ـ تفسير «الدرّ المنثور» ج ٣ ، ص ٢٣٤ ؛ و «مسند أحمد بن حنبل» ج ٥ ، ص ٣٧ .

٢ إلى ٤ـ تفسير «الدرّ المنثور» ج ٣ ، ص ٢٣٤ ؛ و «مسند أحمد بن حنبل» ج ٥ ، ص ٣٧ .

وَاسْمُهُ عِنْدَهُمْ ذُو الْحِجَّةِ .

ثُمَّ عَادُوا إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْقِصَّةِ فَكَانُوا يَحُجُّونَ فِي كُلِّ شَهْرٍ عَاماً حَتَّى وَافَقَ حِجَّةُ أَبِي بَكْرٍ الآخِرَةُ مِنَ الْعَامِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، ثُمَّ حَجَّ النَبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ حِجَّتَهُ الَّتِي حَجَّ فِيهَا فَوَافَقَ ذُو الْحِجَّةِ ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ فِي خُطْبَتِهِ : إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ .[1]

ومحصّل هذه الرواية على ما فيها من التشويش والاضطراب أنّ العرب كانت قبل الإسلام تحجّ البيت في ذي الحجّة ، غير أنّهم أرادوا أن يحجّوا كلّ عام في شهر ، فكانوا يدورون بالحجّ الشهور شهراً بعد شهر ، وكلّ شهر وصلت إليه النوبة عامهم ذلك سمّوه ذا الحجّة ، وسكتوا عن اسمه الأصليّ .

ولازم ذلك : أن تتألّف كلّ سنة فيها حجّة من ثلاثة عشر شهراً وأن يتكرّر اسم بعض الشهور مرّتين أو أزيد كما تشعر به الرواية . ولذا ذكر الطبريّ أنّ العرب كانت تجعل السنة ثلاثة عشر شهراً ، وفي رواية : اثني عشر شهراً وخمسة وعشرين يوماً .

ولازم ذلك أيضاً : أن تتغيّر أسماء الشهور كلّها ، وأن لا يواطئ اسم الشهر نفس الشهر إلّا في كلّ اثنتي عشرة سنة مرّة ، إن كان

١ـ تفسير «الدرّ المنثور» ج ٣ ، ص ٢٣٧ ؛ وتفسير «الميزان» ج ٩ ، ص ٢٨٨ .

التأخير على نظام محفوظ ، وذلك على نحو الدوران .[1]

وتحدّث **الفخر الرازيّ** في تفسيره عن النسيء مفصّلاً ، وقال في ذيل الآية : **إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَهِ** : اعلم أنّ هذا شرح النوع الثالث من قبائح أعمال اليهود والنصارى والمشركين ، وهو إقدامهم على السعي في تغييرهم أحكام الله . وذلك لأنـّه تعالى لمّا حكم في كلّ وقت بحكم خاصّ فإذا غيّروا تلك الأحكام بسبب **النسيء** فحينئذٍ كان ذلك سعياً منهم في تغيير حكم السنة بحسب أهوائهم وآرائهم ، فكان ذلك زيادة في كفرهم وحسرتهم .

ثمّ قال في بيان المسألة الأُولى من المسائل التي طرحها : اعلم أنّ السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهراً من الشهور القمريّة والدليل عليه هذه الآية ، وأيضاً قوله تعالى : **هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ** .[2]

فجعل تقدير القمر بالمنازل علّة للسنين والحساب ، وذلك إنّما يصحّ إذا كانت السنة معلّقة بسير القمر ، وأيضاً قال تعالى : **يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَ‌ٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ** .[3]

١ـ «الميزان» ج ٩ ، ص ٢٨٨ .

٢ـ الآية ٥ ، من السورة ١٠ : يونس .

٣ـ الآية ١٨٩ ، من السورة ٢ : البقرة .

وعند سائر الطوائف [غير العرب] عبارة عن المدّة التي تدور الشمس فيها دورة تامّة ، والسنة القمريّة أقلّ من السنة الشمسيّة بمقدار معلوم . وبسبب ذلك النقصان تنتقل الشهور القمريّة من فصل إلى فصل ، فيكون الحجّ واقعاً في الشتاء مرّة ، وفي الصيف أُخرى وكان يشقّ الأمر عليهم بهذا السبب . وأيضاً إذا حضروا الحجّ حضروا للتجارة ، فربّما كان ذلك الوقت غير موافق لحضور التجارات من الأطراف ، وكان يخلّ أسباب تجاراتهم بهذا السبب .

فلهذا السبب ، أقدموا على عمل **الكَبِيسَة** [1] على ما هو معلوم في علم الزيجات ، واعتبروا السنة الشمسيّة ، وعند ذلك بقي زمان الحجّ مختصّاً بوقت واحد معيّن موافق لمصلحتهم ، وانتفعوا بتجاراتهم ومصالحهم .

فهذا **النسيء** ، وإن كان سبباً لحصول المصالح الدنيويّة ، إلّا أنّه لزم منه تغيّر حكم الله تعالى . لأنّه تعالى لمّا خصّ الحجّ بأشهر معلومة على التعيين ، وكان بسبب ذلك **النسيء** ، يقع في سائر الشهور تغيّر حكم الله وتكليفه . فلهذا المعنى ، استوجبوا الذمّ العظيم في هذه الآية .

ولمّا كانت السنة الشمسيّة زائدة على السنة القمريّة ، جمعوا

١ـ الكبيسة هنا هي عبارة عن حساب الاختلاف في مقدار السنة القمريّة ، مع مقدار السنة الشمسيّة ، وإضافة ذلك الاختلاف إلى السنة القمريّة في آخرها .

تلك الزيادة فإذا بلغ مقدارها إلى شهر ، جعلوا تلك السنة ثلاثة عشر شهراً . فأنكر الله تعالى ذلك عليهم ، وقال : إنّ حكم الله أن تكون السنة اثني عشر شهراً لا أقل ولا أزيد . وتحكّمهم على بعض السنين أنـّه صار ثلاثة عشر شهراً حكم واقع على خلاف حكم الله تعالى ويوجب تغيير تكاليف الله تعالى . وكلّ ذلك على خلاف الدين .

ومذهب العرب من الزمان الأوّل أن تكون السنة قمريّة لا شمسيّة . وهذا حكم توارثوه ، عن **إبراهيم وإسماعيل** عليهما الصلاة والسلام . فأمّا عند اليهود والنصارى ، فليس كذلك . ثمّ إنّ بعض العرب تعلّم صفة **الكبيسة** من اليهود والنصارى ، فأظهر ذلك في بلاد العرب .[1]

وقال الفخر الرازيّ أيضاً بعد حديثه عن مواضيع مفصّلة : **النسيء** هو **التأخير** ، وقال أبو زيد : **نَسَأْتُ الإبلَ عَنِ الْحَوْضِ أَنْسَأُهَا نَسْأً إذَا أَخَّرْتَهَا ، وَأنْسَأْتُهُ إنسَاءً إذَا أَخَّرْتَهُ عَنْهُ والاسْمُ النَّسِيئَةُ وَالنَّسءُ .**

وقال قطرب :

النَّسِيءُ أَصْلُهُ مِنَ الزِّيَادَةِ يُقَالُ : نَسَأَ فِي الْأَجَلِ وَأَنْسَأَ ، إذَا زَادَ فِيهِ .

وقال الواحديّ في جوابه : الصحيح القول الأوّل ، وهو أنّ أصل

١ـ تفسير «مفاتيح الغيب» طبعة دار الطباعة العامرة ، ج ٤ ، ص ٦٣٣ .

النسيء التأخير. والمراد هنا التأخير، لا الزيادة.[1]

ثمّ قال الفخر الرازيّ: لو رتّب العرب [في الجاهليّة] حسابهم على السنة القمريّة، فإنّه يقع حجّهم تارة في الصيف، وتارة في الشتاء، وكان يشقّ عليهم الأسفار ولم ينتفعوا بها في المرابحات والتجارات، لأنّ سائر الناس من سائر البلاد ماكانوا يحضرون إلّا في الأوقات اللائقة الموافقة. فعلموا أنّ بناء الأمر على رعاية السنة القمريّة يخلّ بمصالح الدنيا، فتركوا ذلك واعتبروا السنة الشمسيّة. ولمّا كانت السنة الشمسيّة زائدة على السنة القمريّة بمقدار معيّن احتاجوا إلى الكبيسة، وحصل لهم بسب تلك الكبيسة أمران:

أحدهما: أنّهم كانوا يجعلون بعض السنين ثلاثة عشر شهراً بسبب اجتماع تلك الزيادات.

والثاني: أنّه كان ينتقل الحجّ من بعض الشهور القمريّة إلى غيره، فكان الحجّ يقع في بعض السنين في ذي الحجّة، وبعده في المحرّم، وبعده في صفر، وهكذا في الدور حتّى ينتهي بعد مدّة مخصوصة مرّة أُخرى إلى ذي الحجّة.

فحصل بسبب الكبيسة هذان الأمران: أحدهما: الزيادة في عدّة الشهور. والثاني: تأخير الحرمة الحاصلة لشهر إلى شهر آخر. وقد بيّنا أنّ لفظ **النسيء** يفيد التأخير عند الأكثرين، ويفيد الزيادة

1ـ تفسير «مفاتيح الغيب» ج ٤، ص ٦٣٧ و ٦٣٨.

عند الباقين . وعلى التقديرين ، فإنّه منطبق على هذين الأمرين .

والحاصل من هذا الكلام : أنّ بناء العبادات على السنة القمريّة يخلّ مصالح الدنيا . وبناؤها على السنة الشمسيّة يفيد رعاية مصالح الدنيا ، والله تعالى أمرهم من وقت إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ببناء الأمر على رعاية السنة القمريّة . فهم تركوا أمر الله في رعاية السنة القمريّة ، واعتبروا السنة الشمسيّة رعاية لمصالح الدنيا أوقعوا الحجّ في شهر آخر سوى الأشهر الحرم . فلهذا السبب عاب الله عليهم وجعله سبباً لزيادة كفرهم .

وإنّما كان ذلك سبباً لزيادة الكفر ، لأنّ الله تعالى أمرهم بإيقاع الحجّ في الأشهر الحرم ، ثمّ إنّهم بسبب هذه الكبيسة أوقعوه في غير هذه الأشهر ، وذكروا لأتباعهم أنّ هذا الذي عملناه هو الواجب وأنّ إيقاعه في الشهور القمريّة غير واجب . فكان هذا إنكاراً منهم لحكم الله مع العلم به وتمرّداً على طاعته ، وذلك يجب الكفر بإجماع المسلمين .

وأمّا الحساب الذي به يعرف مقادير الزيادات الحاصلة بسبب تلك الكبائس ، فمذكور في الزيجات .

قال الواحديّ : وأكثر العلماء على أنّ هذا **التأخير** ما كان يختصّ بشهر واحد ، بل كان ذلك حاصلاً في كلّ الشهور . وهذا القول عندنا هو الصحيح على ما قرّرناه واتّفقوا أنّه صلّى الله عليه [وآله]

وسلّم لمّا أراد أن يحجّ في سنة حجّة الوداع ، عاد الحجّ إلى شهر ذي الحجّة في نفس الأمر ، فقال :

أَلَا إنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً . وأراد أنّ الأشهر الحرم رجعت إلى مواضعها .[1]

وقد سبق **أبو ريحان البيرونيّ** [2] الفخر الرازيّ فتحدّث في مواضع من كتابه المشهور «**الآثَارُ البَاقِيَةُ عَنِ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ**» عن كيفيّة النسيء في الشهور بين العرب ، وأصل تأسيس التأريخ الإسلاميّ وأسماء الشهور . وقال في موضع من ذلك الكتاب بعد ذكره الشهور العربيّة الاثني عشر التالية : **الْمُحَرَّمُ ، صَفَرُ ، رَبِيعُ الْأَوَّلُ ، رَبِيعُ الْآخِرُ ، جُمَادَى الْأُولَى ، جُمَادَى الْآخِرَةُ ، رَجَبُ ، شَعْبَانُ ، رَمَضَانُ ، شَوَّالُ ، ذُو الْقَعْدَةِ ، ذُو الْحَجَّةِ :**[3]

---

١ ـ تفسير «مفاتيح الغيب» ج ٤ ، ص ٦٣٨ و ٦٣٩ .

٢ـ **أبو ريحان محمّد بن أحمد البيرونيّ الخوارزميّ** من كبار علماء الإسلام. عاش في القرن الرابع والخامس ، وولد بخوارزم . سنة ٣٦٠ هـ ، وتوفّي بغزنة ، سنة ٤٤٠ هـ.

٣ـ وذكر في ذلك الكتاب أسماء أُخرى للشهور العربيّة قبل الإسلام ووجه تسميتها بتلك الأسماء ، وذلك ص ٦٠ إلى ٦٢ . ثمّ قال : هذه الأسماء تعود إلى عصر قديم ثمّ بدّلت الأسماء الحاضرة بها في العصر الجاهليّ . وهذه الأسماء هي : **المُؤْتَمِر ـ خَوَّانٌ ـ حُنْتَمٌ ـ نَاجِرٌ ـ صُوانٌ ـ زَبَّاءُ ـ الْأَصَمُّ ـ نَافِقٌ ـ هُوَاعٌ ـ عَادِلٌ ـ** ⇦

وكان العرب في الجاهليّة يستعملونها على نحو ما يستعمله أهل الإسلام . وكان يدور حجّهم في الأزمنة الأربعة ، ثمّ أرادوا أن يحجّوا في وقت إدراك سلعهم من الأُدْم والجلود والثمار وغير ذلك ، وأن يثبت ذلك على حالة واحدة وفي أطيب الأزمنة وأخصبها .

فتعلّموا الكبسَ من اليهود المجاورين لهم وذلك قبل الهجرة بقريب من مائتي سنة فأخذوا يعملون بها ما يشاكل فعل اليهود من إلحاق فضل ما بين سنتهم وسنة الشمس شهراً بشهورها إذا تمّ . ويتولّى **القَلَامِسُ** [1] بعد ذلك أن يقوموا بعد انقضاء الحجّ ، ويخطبون

⇦ **وَاغِلٌ ـ بُرَكٌ** . وهناك اختلاف في التواريخ حول بعض هذه الأسماء وترتيبها. وأحسن نظم في هذا المجال هو ما قاله الصاحب إسماعيل بن عبّاد :

أَرَدْتُ شُهُورَ الْعُرْبِ فِي الجَاهِلِيَّةِ — فَخُذْهَا عَلَى سَرْدِ الْمُحَرَّمِ تَشْتَرِكْ

فَمُؤتَمِرٌ يَأْتِى وَمِنْ بَعْدُ نَاجِرٌ — وَخُوّانُ مَعْ صُوَانَ يُجْمَعُ فِي شَرَكْ

حَنِينٌ وَزَبَّا وَالْأَصَمُّ وَعَادِلٌ — وَنَافِقُ مَعْ وَغْلٍ وَرَنَّةُ مَعْ بُرَكْ

١ـ القَلَامِس جمع القَلَمَّس ، وهو البحر الزاخر . والقلمّس لقب لأحد نَسَأَة الشهور على العرب في الجاهليّة ، وهو من بني كنانة . وأوّل النَّسَأَة هو حذيفة بن عبد فقيم الكنانيّ . وكانوا يتوارثون منصبه واحداً بعد الآخر . وآخرهم ، وهو سابعهم: أبو ثمامة جُنادة بن عوف (أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أُميّة بن قَلَع بن عبّاد بن قَلَع بن حذيفة) ولو اعتبرنا متوسّط السنّ لكلّ جيل ثلاثين سنة ، فالمجموع هو مائتان وعشر سنوات . ولو أنقصنا من هذه المدّة سنوات الهجرة العشر ، فإنّ أوّلهم كان يعيش قبل الهجرة بمائتي عام . وقد نصّ المقريزيّ على هذا الزمان في خططه، ج ٢ ، ص ٥٤ .

في الموسم ، وينسئون الشهر ، ويسمّون التالي له باسمه .

فيتّفق العرب على ذلك ويقبلون قوله ويسمّون هذا من فعلهم : **النسيء** ، لأنّهم كانوا ينسأون أوّل السنة في كلّ سنتين أو ثلاث شهراً على حسب ما يستحقّه التقدّم . قال قائلهم :

لَنَا نَاسِئٌ تَمْشُونَ تَحْتَ لِوائِهِ   يُحِلُّ إذَا شَاءَ الشُّهُورَ وَيُحَرِّمُ

وكان **النسيء** الأوّل للمحرّم ، فسمّي صفر به وشهر ربيع الأوّل باسم صفر ، ثمّ والوا بين أسماء الشهور . وكان النسيء الثاني لصفر فسمّي الشهر الذي كان يتلوه وهو ربيع الأوّل بصفر أيضاً . وكذلك حتّى دار النسيء في الشهور الاثني عشر ، وعاد إلى المحرّم ، فأعادوا بها فعلهم الأوّل .

وكانوا يعدّون أدوار النسيء ويحدّون بها الأزمنة فيقولون قد دارت السنون من زمان كذا إلى زمان كذا دورة . فإن ظهر لهم مع ذلك تقدّم شهر عن فصل من الفصول الأربعة لما يجتمع من كسور سنة الشمس وبقيّة فصل ما بينها وبين سنة القمر الذي ألحقوه بها كبسوها كبساً ثانياً .[1] وكان يبيّن لهم ذلك بطلوع منازل القمر

١ـ أي : كانوا يصحّحون المقدار المهمل من جمع الفروق الذي يحصل من الكبس مع مقدار السنة الشمسيّة أثناء السنة القمريّة المحسوبة ، وذلك مع كبيسة أُخرى ذات حساب أدقّ . وذكر المقريزيّ المتوفّى سنة ٨٤٥ هـ هذه الطريقة من الكبس عند العرب في الجاهليّة، وذلك في كتاب «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» ج ٢ ، ص ٥٦ ، طبعة مصر .

وسقوطها حتّى هاجر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم . وكانت نوبة **النسيء** كما ذكرت بلغت شعبان ، فسمّي محرّماً ، وشهر رمضان صفر .

فانتظر النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم حينئذٍ حجّة الوداع وخطب للناس وقال فيها : **ألَا وإنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** .

عنى بذلك أنّ الشهور [القمريّة] قد عادت إلى مواضعها ، وزال عنها فعل العرب بها . ولذلك سمّيت حجّة الوداع ، **الحجّ الأَقْوَم** ثمّ حرّم ذلك ، وأهمل أصلاً .[1]

ويقول في موضع آخر : وفي التاسع عشر [من شهر رمضان] فتح مكّة . ولم يقم رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم الحجّ ، لأنّ شهور العرب كانت زائلة بسبب النسيء . وتربّص حتّى عادت إلى مكانها ، ثمّ حجّ حجّة الوداع ، وحرّم **النسيء** .[2]

قال نلّينو في كتاب «علم الفلك» : أمّا هذا الظنّ أنّ النسيء نوع من الكبس لتحصيل المعادلة بين السنة المشتملة على شهور قمريّة والسنة الشمسيّة ، فليس من أبكار أفكار فخر الدين الرازيّ ، لأنّ جملة من أصحاب علم الهيئة قد سبقوه إلى ذلك الظنّ . وأقدمهم على

١ـ «الآثار الباقية» ص ٦٢ و ٦٣ .

٢ـ «الآثار الباقية» ص ٣٣٢ .

ما نعرفه هو **أبو مَعْشَر البَلْخِيّ** [1] المتوفّى سنة ٢٧٢ هـ.

قال **أبو معشر** في كتاب «**الأُلوف**» : [2] وأمّا العرب في الجاهليّة فكانوا يستعملون سنيّ القمريّة برؤية الأهلّة كما يفعله أهل الإسلام . وكانوا يحجّون في العاشر من ذي الحجّة . وكان لا يقع هذا الوقت في فصل واحد من فصول السنة ، بل يختلف فمرّة يقع في زمان الصيف ومرّة في زمان الشتاء ، ومرّة في الفصلين الباقيين لما يقع بين سنيّ الشمس والقمر من التفاصيل .

فأرادوا أن يكون وقت حجّهم موافقاً لأوقات تجاراتهم ، وأن يكون الهواء معتدلاً في الحرّ والبرد ومع توريق الأشجار ونبات الكلأ لتسهل عليهم المسافرة إلى مكّة ويتّجروا بها مع قضاء مناسكهم . فتعلّموا عمل الكبيسة من اليهود وسمّوه **النسيء** ، أي : **التأخير** إلّا أنّهم خالفوا اليهود في بعض أعمالهم ، لأنّ اليهود كانوا

١ـ أبو معشر الفلكيّ هذا من أصحاب علم النجوم والهيئة . وهو غير **أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن السنديّ** ، من المحدّثين المشهورين صاحب كتاب «المغازي» المتوفّى سنة ١٧٠ هـ .

٢ـ فقد هذا الكتاب ولكنّ كلامه هذا في النسيء نقله عبد الجبّار بن عبد الجبّار بن محمّد الخرقّيّ المتوفّى سنة ٥٥٣ هـ بمدينة مَرْو في كتابه الموسوم بـ«منتهى الإدراك في تقاسيم الأفلاك» . واستخرج هذا النصّ من مخطوطة في باريس: محمود أفندي الملقّب فيما بعد محمود باشا الفلكيّ في مجلّة (جورنال اسياتيك) .

يكبسون تسع عشرة سنة قمريّة بسبعة أشهر قمريّة حتّى تصير تسع عشرة شمسيّة . والعرب تكبس أربعاً وعشرين سنة قمريّة باثني عشر شهراً قمريّة .

واختاروا لهذا الأمر رجلاً من بني كنانة ، وكان يدعى : **القَلَمَّس** . وأولاده القائمون بهذا الشأن تدعى : **القلامسة** ، ويسمّون أيضاً : **النَّسَأَة** . و**القَلَمَّس** هو البحر الغزير . وآخر من تولّى ذلك من أولاده : **أبو ثُمامة ، جُنادة بن عَوْف بن أُمَيَّةَ بن قَلَع بن عَبَّاد بن قَلَع بن حُذَيْفَةَ** .

وكان **القَلَمَّس** يقوم خطيباً في الموسم عند انقضاء الحجّ بعرفات . ويبتدئ عند وقوع الحجّ في ذي الحجّة فينسئ المحرّم ، ولا يعدّه في الشهور الاثني عشر ، ويجعل أوّل شهور السنة صفر فيصير المحرّم آخر شهر ويقوم مقام ذي الحجّة ويحجّ فيه الناس فيكون الحجّ في المحرّم مرّتين . ثمّ يقوم خطيباً في الموسم في السنة الثالثة عند انقضاء الحجّ وينسئ صفر الذي جعله أوّل الشهور للسنتين الأُوليين ، ويجعل شهر ربيع الأوّل أوّل شهور السنة الثالثة والرابعة حتّى يقع الحجّ فيهما ، في صفر الذي هو آخر شهور هاتين السنتين ، ثمّ لا يزال هذا دأبه في كلّ سنتين حتّى يعود الدور إلى الحال الأُولى . وكانوا يعدّون كلّ سنتين خمسة وعشرين شهراً .

وقال **أبو معشر** أيضاً في كتابه عن بعض الرواة : إنّ العرب

كانوا يكبسون أربعة وعشرين سنة قمريّة بتسعة أشهر قمريّة. فكانوا ينظرون إلى فضل ما بين سنة الشمس وهو عشرة أيّام وإحدى وعشرون ساعة وخُمس ساعة بالتقريب.[1] ويلحقون بها شهراً تامّاً كلّما تمّ منها ما يستوفي أيّام شهر، ولكنّهم كانوا يعملون على أنّه عشرة أيّام وعشرون ساعة فكانت شهورهم ثابتة مع الأزمنة جارية على سنن واحد لا تتأخّر عن أوقاتهم ولا تتقدّم إلى أن حجّ **النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم**.[2]

وقد خصّ نلّينو الدرس الثاني عشر، والثالث عشر، والرابع عشر من هذا الكتاب للحديث عن معارف عرب الجاهليّة بالسماء والنجوم، ومسألة النسيء المذكور في القرآن الكريم، وجاء بعدد

١ـ هذا المقدار مسلّم به عند أصحاب علم الهيئة. وينبغي أن نعلم أنّ كلّ شهر قمريّ نجوميّ يمثّل فترة مقارنتين متواليتين للشمس والقمر، وهو عبارة عن تسعة وعشرين يوماً واثنتي عشرة ساعة وأربع وأربعين دقيقة (٢٩ يوم ١٢ ساعة ٤٤ دقيقه) وإذا ضربنا هذا المقدار في العدد ١٢ فالناتج هو ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وثماني ساعات وثماني وأربعين دقيقة، فالسنة القمريّة عبارة عن (٣٥٤ يوم ٨ ساعة ٤٨ دقيقة) ولمّا كانت كلّ سنة شمسيّة عبارة عن ثلاثمائة وخمسة وستّين يوماً وستّ ساعات تقريباً (٣٦٥ يوم ٦ ساعة)، فلهذا يكون تفاضل السنة الشمسيّة من القمريّة عشرة أيّام وإحدى وعشرين ساعة واثنتي عشرة دقيقة (١٠ أيّام ٢١ ساعة ١٢ دقيقة) تقريباً، وهو المقدار الذي ذكره أبو معشر.

٢ـ «علم الفلك، تاريخه عند العرب في القرون الوسطى» تأليف الفلكيّ الإيطاليّ السينور كرلو نلّينو، الطبعة الثانية ١٩١١م، ص ٨٧ إلى ٨٩.

من الآيات القرآنيّة وأقوال المفسّرين.[1]

وحصيلة ما جاء في بحثنا هذا عن تفسير **النسيء** في الآية الشريفة، مع روايات كثيرة وردت في هذا المقام، وكلام للمؤرّخين من علماء الهيئة والنجوم أمثال **أبي ريحان البيرونيّ**، و**أبي معشر البلخيّ**، وكذلك كلام الرحّالة الكبير والمؤرّخ الجليل **عليّ بن الحسين المسعوديّ** المتوفّى سنة ٣٤٦ هـ في كتابه «مروج الذهب»[2]

١ـ «علم الفلك» المحاضرة الثانية عشرة إلى المحاضرة الرابعة عشرة، ص ٨٣ إلى ٩٩.

٢ـ جاء في «مروج الذهب» ج ٢، ص ١٨٨ و ١٨٩، طبعة دار الأندلس: أسماء الشهور: شهور الأهلّة: أوّلها المحرّم، وأيّامها ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً تنقص عن السريانيّ أحد عشر يوماً وربع يوم. فتفرق في كلّ ثلاث وثلاثين سنة، فتنسلخ تلك السنة العربيّة، ولا يكون فيها نيروز. وقد كانت العرب في الجاهليّة تكبس في كلّ ثلاث سنين شهراً وتسمّية **النسيء**، وهو **التأخير**. وقد ذمّ الله تبارك وتعالى فعلهم بقوله: **إِنَّمَا ٱلنَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ**. ورسمت العرب الشهور فبدأت بـ**المحرّم**، لأنّه أوّل السنة. وإنّما سمّته **المحرّم** لتحريمها الحرب، والغارات فيه. و**صفر** بالأسواق التي كانت باليمن تسمّى الصفريّة، وكانوا يمتارون منها. ومن تخلّف عنها، هلك جوعاً.

وقيل: إنّما سمّي الصفر، لأنّ المدن كانت تخلو فيه من أهلها بخروجهم إلى الحرب. وهو مأخوذ من قولهم: **صَفِرَتِ الدَّارُ مِنْهُمْ**، إذا خلت. و**ربيع**، و**ربيع** لارتباع الناس والدوابّ فيهما. فان قيل: قد توجد الدوابّ ترتبع في غير هذا الوقت، قيل: قد يمكن أن يكون هذا الاسم لزمهما في ذلك الوقت، فاستمرّ تعريفهما بذلك مع انتقال الزمان واختلافه. و**جُمادى**، و**جُمادى**، لجمود الماء فيهما في الزمان⇦

وكتابه النفيس : «**التنبيه والإشراف**» هو أنّ أُصول الشهور القمريّة قد تغيّرت بين عرب الجاهليّة لسببين :

الأوّل : تأخير الأشهر الحرم من وقتها كما في شهر محرّم الذي كانوا يؤخّرونه وينسئون حرمته ، ويسمّونه صفراً ، ولم يبالوا بالحرب والقتال والنهب والغارة فيه . وكانوا يكفّون عن القتال خلال أربعة أشهر في السنة من حيث الكميّة لا من حيث النوعيّة حفظاً لحرمة الأشهر الأربعة المحترمة (ذي القعدة ، وذي الحجّة ، ومحرّم ، ورجب) **وِلِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ** .

⇦ الذي سمّيت به هذه الشهور ، لأنّهم لم يعلموا أنّ الحرّ والبرد يدوران فتنتقل أوقات ذلك. و**رجب** ، لخوفهم إيّاه . يقال : **رَجبْتُ الشيء** ، إذا خفته . و**شعبان** ، لتشعّبهم إلى مياههم وطلب الغارات . و**رمضان** ، لشدّة حرّ الرمضاء فيه ذلك الوقت. والوجه الآخر أنّه اسم من أسماء الله تعالى ذكره . ولا يجوز أن يقال: **رمضان** ، وإنّما يقال: **شهر رمضان** . و**شوّال** ، لأنّ الإبل كانت تشول في ذلك الوقت بأذنابها من شهوة الضراب، تشاءمت به العرب ، ولذلك كرهَت التزويج فيه . و**ذوالقعدة** ، لقعودهم فيه عن الحرب والغارات . و**ذو الحجّة** ، لأنّ الحجّ فيه ـ انتهى .

يتّضح لنا ممّا تقدّم وممّا قاله **أبو ريحان البيرونيّ** في «**الآثار الباقية**» حول سبب تسمية الأشهر القمريّة أنّهم كانوا يضعون هذه الأسماء للفصول الشمسيّة وفقاً للشهور الشمسيّة مدّة من حياتهم . ثمّ عادوا من الشهور الشمسيّة إلى الشهور القمريّة التي لا تنطبق على الفصول ثانية بسبب قانون الإسلام . وهذا هو **النسيء** الذي اعتبره الله زيادة في الكفر بسبب تأخير الأحكام والواجبات عن وقتها إلى وقت آخر يليها رعاية للمصالح الدنيويّة .

الثاني : تأخير أيّام الحجّ أو أيّام الصوم وبعض العبادات والمناسك إلى وقت آخر ، لملائمة المناخ ، ومن أجل بيع البضائع التجاريّة ، وجذب القبائل لأداء الحجّ . ولذلك كان الحجّ يقام في فصل خاصّ من حيث اعتدال الجوّ ، ويدور في الشهور القمريّة ، حتّى يعود إلى زمنه الأصليّ كلّ ثلاث وثلاثين سنة حسب السنة الكبيسة الدقيقة ، وكلّ ستّ وعشرين سنة حسب الكبيسة التقريبيّة ، كما مرّ بنا في رواية عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه ، وقد رجع إلى وقته الأصليّ في حجّة الوداع التي حجّها **رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم** ، ولذلك قال رسول الله في خطبته : **إنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ** . ونحن لا نصرّ على أن ننظر إلى الآية القرآنيّة في **عدّة الشهور** و**النسيء** متعلّقة بتأخير الأشهر الحرم ، أو تأخير الحجّ عن وقته المعيّن ، بل إنّ الآية المباركة ـ عامّة ومطلقة ـ تشمل كلا النوعين من النسيء ، ونقل الروايات المشهورة بل المستفيضة يعضد هذا المعنى أيضاً .

وفي ضوء ذلك ، فإنّ تأخير حرمة الأشهر الحرم عن وقتها حرام في الشريعة الإسلاميّة النيّرة ، وكذلك تأخير الآداب والأحكام والتعاليم المقرّرة في أوقات معيّنة كالصوم في شهر رمضان ، والحجّ في شهر ذي الحجّة . لذلك فإنّ استبدال الشهور الشمسيّة بالشهور القمريّة ، واستبدال السنين الشمسيّة بالسنين القمريّة لا يجوز بأيّ

وجه من الوجوه .

وليس للمسلم أن يصوم في شوّال أو في غيره من الشهور المعتدلة . أو يصوم في فصل الشتاء لملائمة الجوّ وقصر النهار . أي : ليس له أن يجعل صومه وفقاً لحساب السنين والشهور الشمسيّة .

وليس له أن يحجّ في المحرّم أو في غيره من الشهور المعتدلة بسبب ملائمة الجوّ وتبعاً لبيع البضائع والأُمور الاعتباريّة والمصالح المادّيّة والدنيويّة . فيجعل حجّه في فصل الربيع أو الخريف . أي : لا يحقّ له أن يحجّ طبقاً لحساب السنين والشهور الشمسيّة .

وكذلك الأمر بالنسبة إلى التكاليف الأُخرى من واجبات ومستحبّات ومحرّمات ومكروهات . وكذلك بالنسبة إلى الأحكام الاجتماعيّة والسنن الاعتباريّة والآداب والتقاليد والعادات التي يواجهها في المجتمع .

وليس للمسلم أن يجعل السنة الشمسيّة ملاكاً وميزاناً لأعماله وتأريخه ، ذلك لأنّ القرآن المجيد جعل السنة القمريّة سنة المسلم بكلّ صراحة ، فقال : عزّ من قائل : **إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ**.[1]

تصرّح هذه الآية بأنّ السنين والشهور الإسلاميّة الرسميّة هي

١ـ الآية ٣٦ ، من السورة ٩ : التوبة .

السنون والشهور القمريّة من جهات متعدّدة :

الأُولى : قــوله : **مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ** . لأنّ مــن الضـروريّات أنّ الإسلام لم يجعل شهراً ما من الأشهر الحرم ، إلّا هذه الأشهر الأربعة مــن الشـهور القـمريّة ، وهـي ذو القـعدة ، وذو الحـجّة ، ومـحرّم ، ورجب . وهذه الأشهر هي من الشهور القمريّة ، لا الشمسيّة . وجاء في روايات عديدة ، وفي خطبة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ ثلاثة منها متواليـة وواحـداً فـرد : **ثَلَاثَةٌ مِنْهَا سَرْدٌ ، وَوَاحِدٌ مِنْهَا فَرْدٌ**.[1] والمتوالية هي: **ذو القعدة** ، **وذو الحجّة** ، **ومحرّم** ، والفرد هـو **شهر رجب** .

الثانية : قوله : **عِندَ اللَهِ** .

والثالثة : قوله : **فِى كِتَابِ اللَهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَـٰوَ ٰتِ وَٱلْأَرْضَ** . فهذان القيدان يدلّان على أنّ الشهور غير قابلة للـتغيير والاخـتلاف أبداً . ولا تأثّر بالوَضْع والجعل وغيرهما من الأُمور الوضعيّة لأنّـها عند الله الذي لا يتغيّر علمه وإحاطته ، وفي كتابه يوم خلق السماوات والأرض .

١ـ جاء في تفسير الإمـام الفـخر الرازيّ ، ج ٤ ، ص ٦٣٤ ، مـن الطـبعة ذات الأجزاء الثمانية قوله : قد أجمعوا على أنّ هذه الأربـعة ثـلاثة مـنها سـرد ، وهـي : ذوالقعدة، وذو الحجّة ، والمحرّم ، وواحد فرد ، وهو رجب . وقال في ص ٦٣٥: قوله: **ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ** إشارة إلى الشهور الاثني عشر ، لأنّ الكفّار كـانوا يـجعلون السنة ثلاثة عشر شهراً .

فقد كانت هكذا في الحكم المكتوب في كتاب التكوين ، وفي القانون المدوّن في لوح الخلق ، **وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ تَعَالَى** . ومعلوم أنّ الشهور الشمسيّة مهما كان وضعها وعنوانها وتأريخها شهور عرفيّة وضعيّة تبلورت على أساس حساب المنجّم والزيادة والقلّة الاعتباريّة والوضعيّة .

أمّا الشهور القمريّة فإنّها كانت كما هي عليه الآن منذ خلق الله السماوات والأرض . تبدأ برؤية الهلال عند خروجه من المحاق ومن تحت الشعاع ، وتنتهي بالمحاق والدخول تحت الشعاع . **وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ * لَا ٱلشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** .[1]

والشهور القمريّة حسيّة ووجدانيّة ولها بداية ونهاية معيّنتان في عالم التكوين . فهي على عكس الشهور الشمسيّة التي تمثّل شهوراً عرفيّة واصطلاحيّة . وعلى الرغم من أنّ الفصول الأربعة والسنين الشمسيّة حسيّة تقريباً ، إلّا أنّ الشهور الاثني عشر التي لها أصل ثابت هي الشهور القمريّة .

وفي ضوء هذا المعنى ، فإنّ معنى الآية سيكون على النحو التالي :

١ـ الآيات ٣٨ إلى ٤٠ ، من السورة ٣٦ : يس .

أنّ الشهور الاثنا عشر التي تتألّف منها السنة هي الشهور الثابتة في علم الله سبحانه وتعالى . وهي الشهور التي عيّنها في كتاب التكوين يوم خلق السماوات والأرض . وقرّر الحركات العامّة لعالم الخلق ، ومنها حركات الشمس والقمر . وأصبحت تلك الحركة الحقيقيّة والثابتة أساساً وأصلاً لتعيين مقدار هذه الشهور الاثني عشر .

ومن الآيات التي تنصّ على لزوم التأريخ القمريّ هي الآية الخامسة من سورة يونس التي مرّ ذكرها : **هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ** .

ومن الواضح أنّ الناس في أيّ بقعة كانوا من البرّ والبحر والجبال والصحارى يستطيعون أن يضبطوا حسابهم على امتداد الشهر القمريّ دون الحاجة إلى المنجّمين وأهل الحساب ، وذلك من خلال رؤية الأشكال المختلفة للقمر في السماء كالهلال ، والتربيع والتثليث ، والتسديس حتّى الليلة الرابعة عشرة حيث يظهر فيها بدراً . وهي ممّا يختصّ بها الشهر القمريّ لا الشمسيّ . وعلى الرغم من ذكر الشمس في الآية السابقة ، إلّا أنّها جعلت منازل القمر سبباً للحساب والتقويم .

ومن هذه الآيات : **يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ** .[1]

١ـ الآية ١٨٩ من السورة ٢ : البقرة .

إنّ استبدال الشهور القمريّة بالشمسيّة هو النسيء الذي يعني تأخير الأعمال عن موعدها المقرّر . وهذا هو الذي اعتبره القرآن الكريم زيادة في الكفر . وهو ما جاء في الكلمات البيّنة الرائعة التي وردت في خطبة **رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم** التي ألقاها بمنى وأعاد فيها الشهور القمريّة إلى وضعها الطبيعيّ بعد أن استبدلت الشهور الشمسيّة بها في العصر الجاهليّ ، وكانت قد جعلت على أساس سنّة **إبراهيم الخليل وإسماعيل الذبيح عليهما السلام** .
وأعلن على رؤوس الأشهاد أنّ هذا الحجّ هو الحجّ الصحيح الذي وقع في وقته ، وحان أوانه إثر استدارة الزمان . ويطلق على هذا الحجّ : **حِجَّة الإسلَام** لأنّه استقرّ في موضعه وفقاً للقانون الإسلاميّ ، ووقع في شهر ذي الحجّة ، وهو شهر الحجّ الحقيقيّ .

وجاء في «السيرة الحلبيّة» : **يُقَالُ لَهَا : حِجَّةُ الْإسْلَام ، قِيلَ لإخْرَاجِ الْكُفَّارِ الْحَجَّ عَنْ وَقْتِهِ لِأنَّ أهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يُؤَخِّرُونَ الْحَجَّ فِي كُلِّ عَامٍ أَحَدَ عَشَرَ يَوْماً حَتَّى يَدُورَ الزَّمَانُ إلَى ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً فَيَعُودُ إلَى وَقْتِهِ . ولِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ الْحِجَّةِ: إنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَإنَّ هَذِهِ الْحِجَّةَ كَانَتْ فِى السَّنَةِ الَّتِي عَادَ فِيهَا الْحَجُّ إلى وَقْتِهِ ، وَكَانَتْ سَنَةَ عَشْرَ .**[1]

١ـ «السيرة الحلبيّة» ج ٣ ، ص ٢٨٩ .

ونصّ على ذلك كلّ من **اليعقوبيّ** ، **والمسعوديّ** ، **وابن الأثير**[1] بل إنّ المسعوديّ عندما ذكر حوادث السنة العاشرة للهجرة ، نقل كلام النبيّ : **إنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ** ، مكتفياً به دون التعرّض إلى ما حصل في حجّة الوداع من أُمور .

وهذه المعاني كلّها صورة معبّرة ناطقة وشاهد صدق على أنّ استبدال السنين الشمسيّة بالقمريّة لا يجوز . وعلى المسلم أن يولى غاية اهتمامه لحفظ الأوقات على أساس التأريخ الذي قرّره رسول الله مرتكزاً على سنّة إبراهيم الخليل ، وجعله القرآن الكريم حتماً ولازماً .

لقد منّ الله عزّ وجلّ عَلَيَّ بتوفيقه وعنايته فأعددت رسالة حول لزوم التعويل على بداية الشهور القمريّة برؤية الهلال في الخارج . وهذه الرسالة موسوعة علميّة وفقهيّة في لزوم اشتراك الآفاق في رؤية الهلال لدخول الشهور القمريّة . وقد اشتملت على بحوث فنيّة ذات أُسلوب رسائليّ تتكفّل بعلاج كلّ إشكال ، وقطع دابر كلّ خلاف .

تفيد هذه الرسالة ، بالبرهان العلميّ والدليل الشرعيّ ، أنّ الشهور القمريّة يجب أن تبدأ برؤية الهلال في الليلة الأُولى . وأنّ

١ـ «تاريخ اليعقوبيّ» ج ٢ ، ص ١١٠ ، طبعة بيروت ؛ و «مروج الذهب» ج ٢ ، ص ٣٠٢ ، طبعة بيروت .

قول المنجّمين على أساس الحساب والرَّصَد ليس له حجّة شرعيّة .

وبناءً على ضرورة الآيات القرآنيّة ، وإجماع أهل الإسلام ، وسنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ قال : **صُومُوا لِرؤيَتِهِ ، وَافْطَرُوا لِرُؤْيَتِهِ !** فإنّ الشهور القمريّة جميعها ينبغي أن تتحقّق بمشاهدة الهلال فوق الأُفق . وأينما رُئي الهلال ، بدأ الشهر . وفي الأماكن التي يتعذّر فيها رؤية الهلال في تلك الليلة ، ويُرى في الليلة التي تليها ، فإنّ بداية الشهر تكون من هذه الليلة . لذلك صحّت الفتوى المشهورة القائلة بأنّ دخول الشهر القمريّ تابع للرؤية ، وإنّ كلّ نقطة في العالم تابعة لأُفقها . وقول بعض العلماء والأساطين الذين يعتبرون خروج الهلال من تحت الشعاع كاف لجميع العالم أو لنصف الكرة الأرضيّة ، ويحكمون بدخول الشهر في أرجاء العالم خلال ليلة واحدة ، ليس له اعتبار ، بل إنّ الأدلّة المتقنة تقضي بخلافه ، والبراهين المنتهية بضرورة ردّه ودحضه قائمة .

هذه الرسالة العلميّة والفقهيّة باللغة العربيّة ، وعنوانها : **رِسَالَةٌ حَوْلَ مَسْأَلَةِ رُؤْيَةِ الْهِلَالِ** . وقد صدرت في سياق الكتب المطبوعة تحت الرقم(٦) من دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة .

فإن قال شخص :

ما ضرّ لو أنّ المسلمين قاموا بأعمالهم وتكاليفهم العباديّة ، من صوم وحجّ وفقاً للشهور القمريّة ، ومارسوا آدابهم وشؤونهم الاجتماعيّة والسياسيّة

الأُخرى وفقاً للشهور الشمسيّة ، وحينئذٍ لا يلزم النسيء الذي يمثّل زيادة في الكفر ، إذ إنّهم يقومون بأعمالهم التي لا علاقة لها بالشرع على أساس تأريخ آخر كالتأريخ الروميّ أو الروسيّ أو الفرنسيّ أو الفارسيّ القديم من حيث تعداد أيّام الشهور ، حسب عقود اعتباريّة يضعونها . وعلى فرض أنّهم يجعلون هجرة **النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم** بداية للتأريخ في هذه التواريخ المذكورة ، فإنّ تأريخهم الرسميّ فقط هو التأريخ الشمسيّ تبعاً للمصالح الدنيويّة .

فإنّنا نقول في إجابته :

إنّ جميع الإشكالات تنبع من هذا الأُسلوب في التفكير ، وذلك :

أوّلاً : أنّ جعل التأريخ الشمسيّ تأريخاً رسميّاً خلاف لنصّ القرآن والسنّة النبويّة وسيرة الأئمّة الطاهرين وعلماء الإسلام ، بل خلاف لمنهج المسلمين جميعهم .

ثانياً : هذا العمل يؤدّي إلى فصل الدين عن السياسة ، إذ إنّ القيام بالأعمال العباديّة وفقاً للتأريخ القمريّ ، وممارسة الأحكام الاجتماعيّة والشؤون السياسيّة طبقاً للتأريخ الشمسيّ من المصاديق الواضحة لفصل الدين عن السياسة . وينتهي بعزل الدين عن شؤون الحياة المهمّة وحصره في الشؤون الشخصيّة والفرديّة .

ثالثا : ويؤدّي إلى تعطيل الكتب والتواريخ المدوّنة ، وقطع

الصلة بين الخَلَف والسلف الصالح ، لأنّنا نرى ـ منذ عصر صدر الإسلام حتّى الآن ـ أنّ جميع كتب التفسير ، والحديث ، والتأريخ والتراجم ، وحتّى الكتب العلميّة كالنجوم ، والرياضيّات ، والهيئة والفقه ، وغيرها قد دوّنت على أساس السنين القمريّة والشهور القمريّة . ونجد أنّ آلاف بل ملايين الكتب المؤلّفة في النطاق الذي كان يحكمه المسلمون سواء باللغة العربيّة ، أو الفارسيّة ، أو التركيّة أو الهنديّة ، أو الإفريقيّة ، أو الأُوروبيّة الشرقيّة ، كلّها تستند إلى التأريخ الهجريّ والسنوات والشهور القمريّة . فلو جعلنا التأريخ الشمسيّ هو الأساس في التأريخ ، أفلا يعني هذا إقصاء تلك الكتب عنّا ، وقطع الصلة بين هذا الجيل ، وبين الثقافة الإسلاميّة الأصيلة في القرون والأعصار الماضية ؟

إنّ استبدال التأريخ الشمسيّ بالتأريخ القمريّ يماثل استبدال الخطّ الإسلاميّ بالخطوط الأجنبيّة ، بل هو من متفرّعات ذلك الأصل ومن الفروع الناميّة لذلك الجذر .

رابعاً : ويحول هذا العمل دون اتّحاد المسلمين في العالم ، ذلك لأنّ تأريخ المسلمين جميعهم هو التأريخ القمريّ ، فإذا استعملنا التأريخ الشمسيّ ، فإنّنا سنختلف معهم في التأريخ . وكذلك إذا أختار المسلمون أيضاً لأنفسهم تأريخاً آخر كالتأريخ الميلاديّ أو الزردشتيّ أو الكورشيّ أو غيرها من التواريخ . فإنّهم بهذه الطريقة

ـ ويا للأسف ـ سيسيرون في اتّجاه معاكس لإتّجاه النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم ممّا يؤدّي إلى تفرّق كلمتهم وتشرذمهم وشقّ عصاهم وانفصام عقدهم.

إنّ التأريخ من الأُمور الأُصوليّة للأحكام الإسلاميّة. واتّحاد المسلمين في التأريخ يفضي إلى اتّحادهم في الثقافة النبويّة واختلافهم فيه يؤدّي إلى تفرّقهم وتشتّتهم.

والإسلام الذي جمع الناس كلّهم من عرب، وعجم، وأتراك وأكراد، وهنود، وشرقيّين وغربيّين، وسود وبيض، وصفر وحمر تحت راية واحدة هي راية التوحيد، على الرغم من اختلاف آدابهم وعاداتهم القوميّة حريّ بالتعظيم. وما أسوأ ما نفعل إذا تركنا المسلمين وشأنهم في التأريخ الذي يعتبر من أهمّ البواعث على الاتّحاد والوفاق، وأهمّ الدعائم لتوطيد علاقاتهم وتعزيزها! وليس من الإنصاف أن نجعل كلّ جماعة منهم تسير في الاتّجاه الذي اختارته لنفسها!

وتوحيد التأريخ كتوحيد اللغة الملحوظ في العبادات والمناسك، كالقرآن، والصلاة، والدعاء، والذكر، يجعل المسلمين صفّاً واحداً. والاختلاف في التأريخ كالاختلاف في اللغة يشتّتهم ويفرّق كلمتهم.

وبينما نرى المسلمين في العالم يحتاجون إلى الاتّحاد والوفاق

أكثر من أيّ شيء آخر ، وأنّ نبيّهم أمرهم بالاتّحاد ، وأنّ كتابهم ناداهم بقوله : **وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ، وأنّ القرآن والنبيّ أعلنا أنّ التأريخ هو القمريّ ، فلماذا نمزّق رسالة سعادتنا بأيدينا ، ونسير في الاتّجاه المعاكس ؟

وقد تنبّه أعداء الإسلام في القرون الأخيرة جيّداً إلى أنّ السبيل الوحيد للسيطرة على المسلمين ، والقضاء على كيانهم العقيديّ والثقافيّ هو إيجاد التفرقة بينهم في الآداب والتقاليد وتقسيم أقطارهم ، وتدمير الأركان التي تقوم عليها وحدتهم ، وذلك تحقيقاً لمصالحهم المادّيّة ، وإمعاناً في استغلالهم . لذلك استخدموا كلّ قواهم من أجل تقويض كيان المسلمين ، وعملوا كلّ ما في وسعهم لتمزيق أوصالهم على امتداد السنين الخالية . وأفلحوا في ذلك من خلال خطط مزوّرة فجعلوهم طرائق قدداً ، وزعزعوا دعائم حضارتهم وآدابهم وأخلاقهم وعلومهم واحدة تلو الأُخرى .

وكان المرحوم والدي آية الله السيّد محمّد صادق الحسينيّ الطهرانيّ رضوان الله عليه يقول : عندما سيطر الإسكندر على الشرق وفتح الأقطار كلّها ، وسار حتّى الهند ، كتب إلى أُستاذه **أرسطو** يخبره أنّه استولى على أقطار الشرق جميعها . وطلب منه أن يرشده ماذا يفعل لكي تبقى تلك الأقطار تحت سيطرته .

فأجابه **أرسطو** أن يقسّم تلك الأقطار المفتوحة إلى أقطار

صغيرة ، ويجعل على كلّ قطر حاكماً ، ويعلن نفسه حاكماً على الجميع ! وحينئذٍ تنقاد الشعوب كلّها إلى طاعته والعمل بأوامره ، ولا يتمرّد حاكم منهم ولا يرفع لواء المعارضة خوفاً على عرشه . وعندئذٍ تعمر تلك الأقطار ويجدّ حكّامها لحفظ مصالحه . ولو قدّر لأحد أن يقوم ضدّه ، فإنّه يبادر إلى قمعه وإخماد نار فتنته بما أُوتي من قدرة كبيرة !

بَيدَ أنّه إذا حكم تلك الأقطار وحده ، أو فوّض أُمورها إلى شخص واحد غيره . فإنّه يُخشى من أن يستفحل أمرها شيئاً فشيئاً وتتوحدّ فيما بينها وتتمرّد ضدّه . وذلك الشخص حتّى لو كان من أخصّ الخواصّ ، فإنّه يتمرّد ويطغى أيضاً ، ويطالب بالحكومة والسلطنة ، وحينَئذٍ يندحر ويأفل نجمه ، وتفلت تلك الأقطار كلّها من قبضته !

وقد انتهج الإنجليز نفس الخطّة في تعاملهم مع المسلمين . وساروا عليها بعد اندحار الإمبراطوريّة العثمانيّة المترامية الأطراف التي حكمت قسماً عظيماً من آسيا ، وأُوروبا ، وإفريقيا تحت عنوان الخلافة الإسلاميّة أكثر من ستّة قرون (من سنة ١٢٩٩ إلى سنة ١٩٢٣ م) . تعاقب على حكومتها ثمانية وثلاثون سلطاناً على التوالي أوّلهم السلطان عثمان خان الغازي الذي تسلّم زمام الأُمور سنة ٦٩٩هـ وآخرهم السلطان عبد العزيز الثاني الذي حكم حتّى سنة ١٣٤٢ هـ

وقد قسّم الإنجليز الدولة العثمانيّة عدّة أقسام ، جعلوا على كلّ قسم عميلاً من عملائهم .

فالقسم الأُوروبي الشامل لأقطار شبه جزيرة **البلقان** و**هنغاريا** وقسم من **رومانيا** الذي يضمّ **بوخارست** ، قسّموه إلى دول : **يوغسلافيا** (صربيا) ، و**ألبانيا** ، و**اليونان** ، و**بلغاريا** ، وقسم من **تركيا الأُوروبيّة** ، و**هنغاريا** (المجر) ، و**رومانيا** الشاملة **لبوخارست** .

والقسم الآسيويّ قسّموه إلى **تركيا** ، و**سورية** ، و**لبنان** و**الأردن** و**فلسطين** ، و**الحجاز** ، و**عدن** ، و**اليمن** ، و**العراق** ، و**الكويت** .

والقسم الإفريقيّ قسّموه إلى **مصر** ، و**طرابلس** التي تمثّل القطر **الليبيّ** ، وكما يلاحظ ، فإنّهم جزّءوا الدولة العثمانيّة إلى تسعة عشر جزءاً .

لقد بذل الكفّار قصارى جهودهم بعد تقسيم هذه الأقطار وقبله أيضاً من أجل القضاء على وحدة المسلمين الذين يحملون **القرآن المجيد** رمزاً لها ، وذلك بعد تغلغلهم في الأقطار الإسلاميّة الأُخرى قدراً ما وسيطرتهم عليها تحقيقاً لأهدافهم المشؤومة . وعملوا كلّ ما في وسعهم لزرع الأفكار القوميّة وتعاهدها بالرعاية ، وجعل كلّ شعب متمسّكاً بقوميّته وآدابه وتقاليده ، ومحبّاً لوطنه الذي يمثّل الحدود المعيّنة التي وضعوها في اجتماعاتهم . وشغلوا الناس بالصحف ، والإذاعات ، والسينمات ، وهيمنوا على معارفهم

وثقافتهم بواسطة المدارس والجامعات ، وتأسيس الجامعات المستقلّة بذريعة الحفاظ على قوميّتهم وآدابهم التي لا تمثّل إلّا ألفاظاً جوفاء ، وهراء لا طائل تحته . وليس فيها إلّا الفخر بالعظام البالية النخرة لأسلافهم ، والتهافت على مقدار من الكؤوس والكيزان المحطّمة بوصفها آثاراً قوميّة ، وجمعها في متاحف فخمة .

فحرّضوا الفرس على التمسّك بالآداب والتقاليد الزرادشتيّة وإحياء الزَّنـد [كتاب زرادشت] والأوِسْتا [كتابه المقدّس أيضاً] والمدح المفرط بملحمة الشاهنامة التي نظهما الفردوسيّ ، وعرض الأساطير الخاصّة بكورش ، وداريوش ، وسيروس ، ورستم ، وزال [والد رستم] .

وقد رأينا بأعيننا كيف كانوا يقفزون من فوق النار في آخر أربعاء من السنة الشمسيّة ، وكيف يحترمون النوروز والمهرجان [وهو عيد قديم للفرس ، يعتبر أكبر عيد بعد عيد النوروز] ويخرجون من البيوت في اليوم الثالث عشر من فروردين [يصادف الثاني من نيسان] ، وآلاف الحكايات والأساطير المخدّرة التي كانت تمثّل التعاليم السياسيّة للطبقة الحاكمة المتسلّطة على رقاب الناس وينبغي أن تطبّق في هذا البلد مع ما تتطلبّه من تكاليف باهظة .

واعتبروا لغة **القرآن** لغة أجنبيّة ، وهي اللغة الأُولى لكلّ مسلم ولم يعد لتدريسها في المدارس قيمة تذكر ، إذ امتهنوها امتهاناً حتّى

كـادت أن تـعدم . وكـانوا يستبدلون المفردات العـربيّة العذبة بـالمفردات الأجنبيّة والغـربيّة التـي يأخـذونها مـن **كتاب** «**أوِسْتا**» متذرّعين بذرائع واهيّة ، وأنشأوا مجمعاً لغويّاً لوزارة التربيّة والتعليم لا يشمّ مـنه إلّا تـوجّه مـحموم يـقضي بـمحو الإسـلام ، والاهـتمام بالتغريب .

وقد طبّق المستعمرون أعداء الإسلام هذا المنهج فـي البـلدان الإسلاميّة الأُخرى من خلال الاهتمام بالجذور التأريخيّة لكلّ بلد قبل الإسلام . ففي إيران ركّزوا على **النعرة الفارسيّة** ، وفي الأقطار العربيّة على **نعرة العروبة** ، وفي تركيا على **النعرة التركيّة** ، وفي شـبه القـارّة الهنديّة ، على **النعرة الهندوسيّة** ، وهكذا فـي بـقيّة الأقـطار حـتّى لو كانت صغيرة ،كما في الإمارات الواقعة على سواحل الخليج الفارسيّ نحو **قَطَر** ، و**القطيف** ، و**أبو ظبي** ، وغيرها ، إذ مـنحوا تـلك الأقـطار استقلالاً ظاهريّاً ، وضربوا على وتر **النعرة القوميّة** .

فهذه الأقطار التي قسّـموها ومـنحوها الاسـتقلال ، لم تسـتقلّ بحقيقة الاستقلال ، بل ظلّت تعيش في بـقعتها الهـزيلة شـبه مـيّتة ، تحت وصاية المستعمرين وانتدابهم .

ومن أهمّ الأشياء التي أفلحوا في طمس مـعالمها هـو التأريـخ الإسلاميّ القمريّ الذي أبطلوا مفعوله في كافّة الأقـطار الإسـلاميّة إلّا في المملكة العـربيّة السـعوديّة كـما يـبدو . ونسـخوا ذلك التأريـخ ،

واستبدلوا التأريخ الشمسيّ به ، وذلك بحجّة أنّه نداء للاتّحاد العالميّ ، وضرورة للارتباط بتأريخ الأقطار الصناعيّة والتجاريّة ، وأنّه لابدّ منه في العلاقات السياسيّة على الصعيد العالميّ . وأصبح التأريخ القمريّ الإسلاميّ منسوخاً بالتأريخ الشمسيّ متّخذين ميلاد السيّد المسيح بداية له . فأضحى التأريخ الميلاديّ هو التأريخ الرسميّ للبلدان الإسلاميّة ، وبذلك لا يعرف الناس شيئاً عن الهجرة النبويّة ، ولا عن محرّم وصفر .

وجعلوا بداية السنة في العراق وبين النهرين : **كانون الثاني** والشهور شهوراً روميّة ، وهكذا بدأوا بالتقويم وفقاً للشهور الميلاديّة التي تبدأ بكانون الثاني ، ويقع الشتاء في الشهر الأوّل والثاني منها . وهذه الشهور هي : **كانون الثاني ، شباط ، آذار ، نيسان أيار ، حزيران ، تمّوز ، آب ، أيلول ، تشرين الأوّل ، تشرين الثاني كانون الأوّل** ،[1] وهو الشهر الأوّل في الشتاء ، وجعلوا ميلاد السيّد

١ـ جاء في «النصاب» :

دو تشرين دو كانون و پس آنكه — شباط و آذر و نيسان أيّار است
حزيران و تموز آب و أيلول — نگهدارش كه از من يادگار است

وتعريبها :

تشرينان وكانونان يتلوهما — شباط ، وآذار ، ونيسان ، وأيّار
حزيران ، وتمّوز ، وآب ، وأيلول — فاحفظها فهي منّي لك تذكار

وأمّا أيّام هذه الشهور فهي : تشرين الأوّل ٣١ يوماً ، تشرين الثاني ٣٠ يوماً ⇦

المسيح بداية للتقويم ، وأطلقوا على السنين : اسم السنين المسيحيّة أو الميلاديّة .

وفعلوا مثل ذلك في أقطار بلاد الشام (سوريا ـ لبنان ـ فلسطين) ومصر وغيرها مستعملين تأريخ الإفرنج نفسه وبأسماء إفرنجيّة أجنبيّة مثل : نوفمبر ، وديسمير وأمثالهما . وجعلوا تقويمهم ميلاديّاً أيضاً . وهكذا فعلوا في شبه القارّة الهنديّة (الهند ، والباكستان) .

وقد وجدوا أنّ من غير الصالح أن يجعلوا التأريخ ميلاديّاً في

⇦ كانون الأوّل ٣١ يوماً ، كانون الثاني ٣١ يوماً ، شباط ٢٨ يوماً وفي الكبيسة ٢٩ يوماً، آذار ٣١ يوماً ، نيسان ٣٠ يوماً ، أيّار ٣١ ، حزيزان ٣٠ يوماً ، آب ٣١ يوماً، أيلول ٣٠ يوماً («التنبيه والإشراف» للمسعوديّ ص ١٨٣) .

وأمّا شعر «نصاب» المعروف فهو قوله :

لَا وَلَالَبْ لَا وَلَا شش مــه است ‏ ‏ ‏ ‏ لَلْ كطْ وَكطُ لَلْ شهور كوته است

لا ولا لب لا ولا لا فهذه ستّة أشهر ‏ ‏ ‏ ‏ لل كط وكط لل فهذة ستّة قصيرة

فإنّه يعود إلى الشهور الروميّة على الحمل والثور والجوزاء باللغة العربيّة . أي : أنّ عدد أيّام الشهور الروميّة من الحمل هي بالترتيب : ٣١ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣١، ٣١ ٣١ ، الشهور الستّة الأولى حتّى آخر السنبلة ، و ٣٠ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٠ ، الشهور الستّة الأخيرة حتّى آخر الحوت، ومجموعها : ٣٦٥ يوماً .

من الطبيعيّ ، لمّا كانت السنة الشمسيّة ٣٦٥ يوماً و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٤٥ ثانية ، وأرادوا أن لا تتأخّر السنة ، لذلك عليهم أنّ يجمعوا هذه الكسور في كلّ أربع سنوات مرّة واحدة، فتكون يوماً واحداً ، يضيفونه إلى تلك السنة . ويطلق على هذه السنة : الكبيسة .

إيران دفعة واحدة لأنّ شعبها يتشرّف بتشيّعة واتّباعه العلماء الأبـرار ولعدم استسلامه وخضوعه لحكّـام الجـور ، عـلى عكس الشـعوب الأُخرى التي تعتنق المذهب السنّيّ فإنّها تنظر إلى الحكّام على أنـّهم أولو الأمر وأنّ طاعتهم واجبة مهما كانوا . فإذا حكموا بتبنّي التأريخ الميلاديّ ، فالجميع سامعون طائعون .

وكان استبدال التأريخ الميلاديّ الشـمسيّ بـالهجريّ القـمريّ عسيراً جدّاً ، بل ممتنعاً ، وذلك بسبب وجود العلماء المتنفّذين فـي هذا البلد الشيعيّ .

لذلك نرى أنّ المستعمرين قاموا بـتحقيق أهـدافـهم فـي هـذا المجال مرحليّاً ، لكي يعتاد الناس على المـراحـل السـابقة ويألفـوها شيئاً فشيئاً ، حتّى لا يجدوا مانعاً من تنفيذ المراحل اللاحقة .

فطبّقوا مرحلة واحدة من تلك المراحل قبل ثمانين سنة ، وذلك في الدورة الثـانية لمـجلس النـوّاب ، وهـذه المـرحـلة هـي اسـتبدال الشهور الشمسيّة بالشهور القمريّة ، وفي الدوائر الحكوميّة فقط دون حدوث تغيير فـي رأس السـنين الشـمسيّة ، أو فـي أسـماء الشـهور الشمسيّة ، فرأس السنين هو هجرة النبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم من مكّة إلى المدينة المنّورة .[1] وأسماء الشـهور هـي الأسـماء

١ـ لمّا كانت بعثة النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم في ٢٧ رجب ، وأنـّه مكث في مكّة ١٣ سنة ، ثمّ هاجر منها في ١٢ ربيع الأوّل ؛ فإنّ لبثه في مكّة على ⇦

العربيّة المتداولة ، وفقاً لحركة الشمس في البروج الأثني عشر ، أي : من أوّل الربيع بالترتيب ، وهذه البروج هي :

الحَمَل ، والثَوْر ، والجَوْزاء ، والسَّرَطان ، والأسد ، والسُّنْبُلَة ، والميزان ، والعَقْرَب ، والقَوْس ، والجَدْي ، والدَّلْو ، والحوت .

وقد طرحوا المسوّغ لهذا التغيير في المجلس ، وهو تنظيم الشؤون الماليّة ، وذكروا أنّ السنة الشمسيّة من مصلحة الحكومة ، ذلك لأنّ السنة الشمسيّة تزيد على السنة القمريّة أحد عشر يوماً وحينئذٍ تصبّ ميزانيّة الحكومة ودفع رواتب الموضّفين وفقاً لهذه الشهور في مصلحة الحكومة ونفعها .

وعلى سبيل المثال ، لو كانت نفقات الحكومة حسب السنين الشمسيّة أربعة وعشرين مليوناً سنويّاً ، فإذا أرادت أن تنفق ذلك المبلغ حسب الشهور القمريّة فإنّ عليها أن تزيد النفقات مليونين في كلّ ثلاث سنوات ، وذلك لزيادة شهر في كلّ ثلاث سنوات ، فتتضرّر

⇦ نحو التحقيق ١٢ سنة و ٧ شهور ونصف الشهر . وأنّ مدّة مكوثه في المدينة ١٠ سنين إلّا أربعة عشر يوماً ، أي : من ١٢ ربيع الأوّل ، السنة الأُولى للهجرة حتّى الثامن والعشرين من صفر سنة ١١ هـ . وكانت هجرته سنة ٦٢٢ م . وصادف الأوّل من المحرّم في تلك السنة ، وهو بداية السنة عند المسلمين ، السادس عشر من تمّوز سنة ٦٢٢ حسب التعديل في تقويم جولين ، والتاسع عشر منه حسب التعديل في التقويم الغريغوريّ الميلاديّ الحالي .

الحكومة مليونين.[1]

وكذلك عندما بدأت دائرة الجمارك أعمالها في إيران، تصوّروا أنّ التأريخ الشمسيّ ضروريّ في الشؤون الحكوميّة. فسألوا الناس: أيّ سنة شمسيّة هذه؟ فلم يحصلوا على شيء. قالوا: ثمّة حَمَل وثور في سنين المنجّمين، وهم يعلمون ذلك، وهو ما أخذه البلجيك وطبّقوه.

وكلّما فكّرتُ في هذه الأدلّة لأعرف كيف تكون كافية لاستبدال الشهور والسنين القمريّة الإسلاميّة بالشهور والسنين

١ـ وتنبّه العثمانيّون إلى هذا الموضوع أيضاً قبل سبعين سنة، فغيّروا التأريخ الرسميّ إلى تأريخ شمسيّ. أي: بدّلوا تأريخهم في سنة ١٢٥٦ هـ، إلّا أنّ السهو الذي ارتكبوه آنذاك هو جعلهم التأريخ شمسيّاً منذ ذلك الحين فما تلاه، وبقاؤهم على التأريخ القمريّ في المدّة التي سبقت ذلك الحين، فتأريخهم منذ اليوم الأوّل للهجرة لا يدلّ على القمريّ، ولا على الشمسيّ. إذ إنّ سبعين سنة منه شمسيّة بأسماء روميّة كشباط وتشرين وغيرهما، وما سبق ظلّ قمريّاً وشهوره محرّم وصفر وغيرهما من الشهور.

لذلك نرى حتّى هذا التأريخ الذي نؤلّف فيه كتابنا هذا، وهو ربيع الأوّل سنة ١٤٠٥ هـ، أنّه مضى على ذلك التأريخ ١٥٠ سنة، وأنّ النقص في هذا المقدار أربع سنوات ونصف، فيجب أن يكون تأريخ السنوات العثمانيّة ١٤٠٠ سنة. غير أنّ مصطفى كمال باشا عندما تسلّم مقاليد الأُمور لم يغيّر التأريخ الهجريّ، ويجعله ميلاديّاً فحسب، بل جهد على جعل جميع الآداب والتقاليد والنهج أجنبيّة، وعطّل المساجد، واستبدل الجمعة بالأحد كعطلة رسميّة.

الشمسيّة ، فلم أهتدِ إلى شيء . وهل يكون الدليل على هذه الدرجة من الضعف ، إذ يغيّرون السنة المتداولة في بلد ما إلى سنة شمسيّة بسبب حاجة التعرفة الجمركيّة إلى ذلك ، ويبدّلون جميع الآداب والتقاليد والعطل والإجراءات الإداريّة والمراسيم في كافّة الدوائر كدائرة العدل ، والتربية والتعليم وغيرهما ، وحتّى وزارة الماليّة ويتلاعبون بشؤون البلد كلّها من خلال هذه الممارسات ؟ فأيّ حساب هذا ؟! وأيّ كتاب هو ؟!

وأمّا الميزانيّة ونفقات الحكومة التي تتضرّر حسب الشهور القمريّة ، فإنّ دليلها باهت واهٍ إلى درجة أنّ الإنسان يندهش من عقول الذين اقترحوا تغيير التأريخ ودرايتهم .

فمن قال بأنَّ تجعل الحكومة ميزانيّتها من الضرائب التي تجمعها من الشعب حسب الشهر والسنة القمريّة ، ثمّ تصرفها حسب الشهر والسنة الشمسيّة ، وتدفعها لموظّفيها ؟ فلو جمعتها الحكومة حسب التأريخ الشمسيّ ، فإنّها تدفعها وفقاً لذلك التأريخ . ولو جمعتها حسب التأريخ القمريّ ، فإنّها تدفعها وفقاً له أيضاً . وهكذا تبقى النسبة متعادلة ومحفوظة في كلا الحالين ، ولا يمكن أن يُتَصَوَّر ربح وخسارة أبداً .

فلو كانت ميزانيّة البلاد أربعة وعشرين مليوناً في السنة الشمسيّة ، وأراد ذوو الأمر صرفها حسب السنة القمريّة ، فلن تبقى

على المبلغ نفسه ، بل تقلّ طبعاً ، وما يضرّ دفع المقدار الأقلّ حسب شهور وسنين أقصر ؟

إنّ تعيين الميزانيّة وعائدات الحكومة ومصاريفها ، وكذلك إنفاقها وجمعها ، كلّ ذلك سواء كان حسب السنين الشمسيّة أو القمريّة ، فإنّه يعود إلى الحكومة ، وهي صاحبة التصرّف ، والتناسب محفوظ على أيّ حال ، لا ينقص أو يزيد ريالاً واحداً .

لو دعوتم عشرة ضيوف إلى بيتكم مثلاً ، فإنّكم تضعون أمام كلّ واحد إناءً أو صحناً لطعامه ! ولو دعوتم عشرين ضيفاً ! فعليكم أن تهيّئوا عشرين إناءً ! والضيوف في كلا الحالين يأكلون من أوانيهم المعدّة لهم ويشبعون ! بَيدَ أنّكم لو دعوتم عشرين ضيفاً ، ووضعتم أمامهم طعاماً يكفي لعشرة ضيوف فقط ! فإنّ الجميع يبقون جياعاً !

ولا ضرورة تلزمكم أن تدعوا عشرين ضيفاً ، وتقدّموا لهم طعاماً يكفي لعشرة ! فإمّا أن تدعوا عشرين ، تقدّموا لهم طعاماً لعشرين ، أو تدعوا عشرة ، وتقدّموا طعاماً لعشرة . وفي كلتا الحالتين يشبع ضيوفكم جميعهم ، ولا تخجلون بسبب قلّة الطعام ، وتؤدّون ما عليكم !

إنّ كلّ ما أتى به أُولئك الأشخاص تبريرات وذرائع واهية . فهم يريدون إلغاء محرّم ، وصفر ، ورمضان ، وذي الحجّة وطمس معالمها . ليخطوا خطوتهم الأُولى ، ويطووا مرحلة من المراحل

ليمهّدوا الطريق لخطوات قادمة ومراحل لم تطو بعد .

قام المجلس الثاني بإلغاء السنين والشهور القمريّة من التقويم الرسميّ . واستبدل الحَمَل والثَوْر والجوزاء بمحرّم وصفر . وعندما اعترضت عليهم الفئة المؤمنة الواعية الملتزمة بأنّ هذه الخطوة تعني إلغاء الشعائر الإسلاميّة ! وتغيير محرّم وصفر ! أجابوا :

لا دخل لنا بمحرّمكم وصفركم ! أقيموا مجالس العزاء في هذين الشهرين ! وصوموا في شهر رمضان ! وأدّوا مناسك الحجّ في ذي الحجّة !

لا يعنينا أبداً ممارسة أعمالكم العباديّة في أوقاتها المقرّرة في الشرع ! إنّه شيء يخصّكم ! فنحن نجعل التأريخ الشمسيّ تأريخاً رسميّاً للبلاد بسبب الأعمال الحكوميّة ، والعلاقات الدبلوماسيّة وتنظيم شؤون الحكومة وتنسيقها ، والأنظمة الإداريّة والوزارات ! وليس في هذا ضرر لأيّ شخص أو لأيّ مرفق حيويّ !

ومتى طلبنا منكم أن تصوموا في الحَمَل ! أو تحجّوا في السرطان ! فالحقّ ـ حينئذٍ ـ معكم ! ولكم أن تعترضوا علينا !

ولم يقل أحد لهؤلاء : إنّ الإسلام لا يفرّق بين الشؤون العباديّة والسياسيّة ، وإنّ الأنظمة الإداريّة لا تنفصل عن الصلاة والصوم ، وإنّ عمل الوزارات يصبّ في خدمة الثقافة الإسلاميّة الأصيلة ، والحجّ والزيارة ، وصوم شهر رمضان ، وإقامة العزاء على سيّد الشهداء عليه السلام . وليس عندنا : نحن وأنتم ! فالحكومة الإسلاميّة واحدة ،

والأُمّة الإسلاميّة واحدة !

إنّ استبدال التأريخ القمريّ بالتأريخ الشمسيّ يؤدّي إلى فصل الشعب المسلم عن الحكومة ، ويستلزم عزل الإسلام عن الحقل الاجتماعيّ والرسميّ . ويؤول ـ في الحقيقة ـ إلى نسْخِ الإسلام وإقرار النظام الغربيّ والتغريب .

فهذه هي المرحلة الأُولى من التغيير التي كانت جارية وسارية المفعول في البلاد على امتداد عشرين سنة ، إلى أن حان الوقت لتنفيذ المرحلة الثانية لهذه الخطّة ، وكانت الأرضيّة ممهّدة من كلّ الجهات ، وأعداء الإسلام يتربّصون وينتهزون الفرصة لتنفيذ تلك المرحلة .

فكانت الدورة الخامسة لمجلس النوّاب التي عقدت جلستها الثالثة والأربعين بعد المائة يوم الثلاثاء ٢٧ حوت ١٣٠٣ شمسيّ المصادف ٢١ شعبان ١٣٤٢ قمريّ ، فنسخت التأريخ الشمسيّ الذي كان وفقاً للشهور العربيّة وبأسماء عربيّة ، وأبدلته بالتأريخ الهجريّ الشمسيّ القديم .

وكلّ ما طرح في المجلس من كلمات وخطب للحؤول دون تحقيق هذا الأمر لم يؤت أُكُله . ولا سيّما كلمة السيّد شريعتمدار الدامغانيّ الذي تحدّث بنحو استدلاليّ ، فقال :

إنّ الشهور الشمسيّة المعيّنة وفقاً لحركة الشمس في البروج أفضل من

الشهور التأريخيّة القديمة المزيّفة المختلفة التي لا تنسجم مع المبادئ العلميّة من قريب أو بعيد .

علماً أنّ أصل الاقتراح الذي طرح في المجلس جاء من قبل **الاقطاعيّ كيخسرو شاهرخ** [1] المجوسيّ المعادي للإسلام وأحد أعضاء المحفل الماسونيّ الإيرانيّ ، وبتشجيع من قبل **السيّد حسن تقي زاده** [2] العميل الخاصّ للأجانب في إيران ومن رؤساء المحفل الماسونيّ والمتمرّسين ذوي الخبرة الممتدّة ستّين سنة فيه .

وكان للسيّد **محمّد تديّن** [3] دور ملحوظ في هذا الموضوع كما يظهر من كلامه في ذلك المجلس .

وهذا الاقتراح يقضي بإجراء تغييرين في التأريخ الشمسيّ الرسميّ للبلاد : **الأوّل** : استبدال الشهور العربيّة كالحمل والثور والجوزاء بالشهور . الشهور الفارسيّة القديمة وهي : **فروردين أُرديبهشت** ، **خُرداد** ، **تِير** ، **أُمرداد** ، **شهريور** ، **مهر** ، **آبان** ، **آذر** ، **دي** ،

١ـ يرجع إلى كتاب «فراموشخانه وفراماسونرى در ايران» وتعني : «المحفل الماسونيّ والماسونيّة في إيران» تأليف إسماعيل رائين ، الطبعة الخامسة ، ج ٢ ، ص ١٤٢ إلى ص ١٤٧ . وكذلك الصفحات ٤٩ و ٥٠ و ٥٤ و ٧٥ و ٤٥١ .

٢ـ «فراموشخانه و فراماسونري در إيران» ج ٣ ، ص ٥٣١ إلى ٥٣٤ .

٣ـ كان لهذا الشخص دور يؤبه له في مؤازرة البهلويّ [رضا خان] وتمكينه من التسلّط على الناس . وكان عضواً في مجلس الشورى لعدّة سنين ، ثمّ رئيساً للوزراء في عهده ثمّ في زمن ابنه [محمّد رضا] .

بهمن ، إسفند .[1]

الثاني : يكـون عـدد أيّام الشـهور السـتّة الأُولى : **٣١** يـوماً والشهور الخمسة التى تليها : **٣٠** يـوماً ، والشـهر الأخـير : **٢٩** يـوماً فيصبح المجموع : **٣٦٥** يوماً . ويحسب الشهر الأخير (إسفند) : **٣٠** يوماً في كلّ أربع سنوات ، وذلك للكسر الموجود فـتحسب تـلك السنة : **٣٦٦** يوماً .

وكانوا يقولون :

إنّ هذا التقويم مأخوذ من تقويم **السلطان ملك شاه السلجوقيّ** . حيث إنّ هذا الملك لمّا رأى أنّ السنين الشمسيّة تسير إلى الوراء بسبب عدم محاسبة التعديلات ، وعدم محاسبة السنين الكبيسة بدقّة ، لذلك جعل السنين الشمسيّة بهذا الشكل مستهدياً بتنظيم وتنسيق الحكيم عمر الخيّام وبعض المنجّمين الآخرين ؛ إذ تكون الشهور جميعها ثلاثين يوماً في كلّ شهر ، ويصبح المجموع ثلاثمائة وستّين يوماً ، وعندها كانوا يضيفون خمسة أيّام لآخر شهر آبان أو إسفند ، لكي لا يحصل نقص في السنين ، ويسمّون تلك الأيّام الخمسة : **الخَمْسَة المُسْتَرَقَّة** . ويعود السبب في ذلك إلى أنّ المجوس قبل الإسلام كانوا لا يحسبون خمسة أيّام من السنة ضمن السنة ، وكانوا يتطوّعون للقيام بالأعمال الخيريّة خلال تلك الأيّام .

وكانت السنة تتألّف من ثلاثمائة وخمسة وستّين يوماً بالأيّام الخمسة

١ـ ذكر المسعوديّ هذه الأسماء في كتاب «التنبيه والإشراف» ص ١٨٤ .

المضافة إليها . وكانوا يكبسون سنة في كلّ أربع سنوات ، فيحسبونها ثلاثمائة وستّة وستّين يوماً . وللحصول على حساب أدق ، كانوا يحسبون كبيسة ثانية ، ويجعلون السنة الكبيسة سنة خامسة مرّة واحدة في كلّ ثلاث وثلاثين سنة ، أي : كان المفروض أن يحسبوا سنة ٣٢ كبيسة بعد سنين ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ . إلّا أنّهم أخّروها سنة وكبسوا سنة ٣٣ .[١]

وفي ضوء هذا الحساب ، تتأخّر السنون الشمسيّة يوماً واحداً فحسب إلى ستّة آلاف سنة .

وهكذا نظّم **السلطان ملك شاه السلجوقيّ** هذا التقويم ، وجعل يوم جلوسه على العرش بداية للسنة معرضاً عن التأريخ الهجريّ ومهملاً إيّاه . وأراد أن يشيع هذا التقويم . إلّا أنّ الناس رفضوا ذلك بسبب تغيير بداية التأريخ من الهجرة إلى الجلوس على العرش ، فلم يلق تقويمه ترحيباً من الناس ، غير أنّه دقيق من حيث المحاسبة .

فإذا جعلنا أيّام الشهور الستّة الأُولى من السنة : ٣١ يوماً ، وأيّام الشهور الستّة الأُخرى : ٣٠ يوماً ، وأيّام إسفند : ٢٩ يوماً ، ونكبس كلّ أربع سنين مرّة واحدة ، وكلّ ثلاث وثلاثين سنة نكبس كبيسة ثانية ، فلا يظهر أيّ تغيير في

١ـ في ضوء محاسبات الخيّام ، ينبغي كبس ثماني سنين في كلّ ثلاث وثلاثين سنة لكي لا يظهر اختلاف . لذلك بناءً على هذا الوضع ، يكبسون سنة في كلّ أربع سنين . وفي رأس السنة الأخيرة وهي السنة الثالثة والثلاثون يجعلون الكبيسة في رأس السنة الخامسة وهي السنة الثالثة والثلاثون . لذلك فالدورة الأخيرة للسنين الأربع البسيطة والسنة الخامسة ستكون كبيسة .

عدد أيّام السنة ، ولا تتأخّر السنة أيضاً أي : أنّ هذا الحساب ينسجم مع تقويم ملك شاه من حيث المحتوى ويغايره من حيث عدد أيّام كلّ شهر خاصّة . وهذا الأمر ليس ذا بال .

وخلاصة القول إنّ هذا الحساب ضروريّ في السنين الشمسيّة بمقدار أوّل السنة وآخرها ، ولكن ليس هناك من فرق فيما إذا كانت أيّام الشهر الشمسيّ ثلاثون أو واحد وثلاثون ، أو قلّ عن ذلك أو زاد ، فالأصل في الحساب هو مجموع أيّام السنة .

نحن نجعل اسم فروردين للشهر الأوّل من الربيع ، طابق شهر الحَمَل أو لم يطابق .

هذا من حيث عدد أيّام الشهور ، وأمّا من حيث تغيير الأسماء فقد قالوا :

لا يهمّنا ، لأنّ التغيير هو تغيير الألفاظ ، ولا يضرّ أحداً . إذ إنّه رفع للألفاظ العربيّة واستعاضة الألفاظ التراثيّة القديمة بها ، وفي ذلك إحياء للسنن القوميّة . وكلّ شعب ينبغي أن يحترم طقوسه وشعائره . ويزيدون على ذلك أنّهم يزعمون بأنّ الإسلام دعاهم إلى إحياء السنن القوميّة .

ولمّا قيل لهم : إنّكم تقصدون رفع محرّم وصفر وطمس معالمهما ! قالوا :

لا ، لا نقصد ذلك ! فالأُمور الشرعيّة لها حرمتها وإنّما نريد رفع الألفاظ العربيّة ووضع ألفاظنا العريقة الجميلة العذبة موضعها ! ولا ينبغي لنا أن نكون

أشدّ تحمّساً على العروبة من العرب أنفسهم . فما يستعمل بين النهرين (العراق) وغيره هذا اليوم هو : تشرين ، وكانون ، وشباط ، ولا نعرف دولة من الدول العربيّة قد استعملت الحَمَل ، والجوزاء ، والسنبلة .

وهنا قال **المرحوم المجاهد والعالم العظيم السيّد حسن المُدَرِّس** :

إنّ الأقطار الإسلاميّة كلّها تستعمل مُحَرَّم ، وصَفَر .

فقالوا :

لا يعنينا محرّم ، وصفر ، فهما ممّا يعني الشعوب ويخصّها ، إذ تقوم بشؤونها الشرعيّة حسب تلك الشهور ، وإنّما يرجع كلامنا إلى التقويم الحكوميّ الرسميّ ، لا الشؤون الشرعيّة للناس . وها نحن نريد أن نغيّر أسماء الشهور في هذا التقويم الرسميّ الشمسيّ نفسه الذي لا زلنا نعهده إلى اليوم . هو أمر لا ضرر فيه ، ولا علاقة له بمحرّم وصفر ، إذ لهما حرمتهما . وما نريده هو استبدال الحَمَل والجوزاء بأُرديبهشت وفروردين وليس هذا إلّا إحياءً لتقاليدنا العريقة وتراثنا القديم .

فقال أحد النوّاب المعارضين :

إذا أردتم تغيير الألفاظ فغيّروها إلى الألفاظ التي اخترعها أحد المنجّمين المعاصرين لهذه الشهور ، وهي تناسبها أكثر من غيرها . وهذا المنجّم هو **السيّد جلال الدين الطهرانيّ** ، فقد وضع تقويماً ، وجعل شهور السنة الشمسيّة كالآتي : **چَمَنْ آرا** ، **گُل آور** ، **جان پرور** ، **گرما خيز** ، **آتش**

بيز ، جهان بخش ، دِژَم خوي ، باران ريز ، أندوهگين ، سرماده ، برف آور ، مشگين فام .[1]

فهذه الأسماء أجمل ، وتناسب الشهور من حيث المعنى أكثر من الأسماء التي أعدّها الإقطاعيّ كيخسرو من الكتب القديمة .

فچمن آرا أكثر مناسبة من فروردين الذي ترجم إلى «هم مانندي روانان» ويعني : مساواة الأرواح . [چمن آرا في اللغة العربيّة يعني : مُزيّن المرج] . وگل آور أفضل من أُرديبهشت الذي ترجم إلى «النظم التامّ وقدسيّة الأفضل» .

والخلاصة فقد أصرّوا على أنّ فروردين وأُرديبهشت وغيرهما أفضل ، وذلك إحياءً للأعراف القديمة . وحتّى أنّهم قالوا بأنّ مُرداد ينبغي أن يكون : أمرداد ، وذلك لمجيئة بالهمزة المفتوحة في اللغة القديمة .[2]

١ـ ذكر السيّد جلال الدين الطهرانيّ هذه الأسماء في الصفحة ٧٩ من تقويمه المؤرّخ سنة ١٣٠٩ شمسيّ . [١٩٣٠ م] .

٢ـ يقول دهخدا في معجمه [معجم خاصّ باللغة الفارسيّة] في مادّة أمرداد: جاء في «**الابستا**» : **أَمُرْتات** . وتات مقطع أخير في الكلمة ، وليس له استعمال مستقلّ . ويلاحظ هذا المقطع في خُرداد أيضاً .

وأمّا المقطع الآخر في الكلمّة فإنّه يتألّف من جزءين : الأوّل : «اَ» وهو من أدوات النفي ، يعني : لا . ويستعمل له بالفارسيّة كلمة «نا» أو «بي» . الثاني : **مِرْت** أو **مَرْت** ويعني : الموت والوفاة والفناء والهلاك . فيعني أمرداد ـ إذَنْ : عدم الموت والفناء أو الخلود . وينبغي أن يكون مُرداد بأداة النفي : «اَ» لا مجرّداً عنها ، لأنّ المعنى يخالفه . ⇦

وكم دعا النوّاب المعارضون إلى :

⇦ وأَمرداد في دين زرادشت : **أمشاسْپَندي** ، ويمثّل عدم الفناء ، والخلود ، أو مظهر الذات التي لا تزول : **أهُورمزدا** [وجود غير مرئيّ وخالق الحياة وواحد لاشريك له وعظيم وعالم]. وقد فوّض إليه حراسة النباتات والخضروات في عالم التراب (الأرض) (عن «معجم إيران القديمة» بقلم إبراهيم پور داود ، ص ٥٩) . ويُرجع إلى: «مزديستا» [يطلق على دين زرادشت] وتأثيره في الأدب الفارسيّ ، للدكتور معين. وكذلك يرجع إلى : «**أمشاسْپَندان**» .

وخلاصة ما نقلناه هنا عن «معجم دهخدا» جاء في تعليقة مادّة مرداد من هذا المعجم. ويقول أيضاً : أمرداد وهو الشهر الخامس في السنة ، وقد وكّل إليه اليوم السابع من الشهر ، من **أمشاسْپَندان** ومظهر **أهورمَزدا** في الخلود ، وثواب أعمال المحسنين في جنّات الله تعالى . ورعاية النباتات في العالم الأرضيّ تقع على أمرداد.

ورأى المؤرّخ اليونانيّ **إسترابون** معبد أمرداد في آسيا الصغرى . وكان يقام حفل **أمردادگان** في يوم أمرداد من شهر أمرداد .

ويسمّيه المجوس في إيران : أمرداد أيضاً (من حاشية الدكتور معين على «البرهان القاطع» ذيل مرداد) . وجاء في هذه التعليقة أيضاً أنّ تات وهو المقطع الأخير في الكلمة يدّل على اسم مؤنّث مجرّد .

ويقول في هذا المعجم أيضاً في مادّة **أمشاسْپَند** : هو المَلَك . وجاء في الابستا «أمِشَه وسِپَنته» مركّبة من جزءين : الأوّل «أمشه» وهو مركّب أيضاً من «اَ» علامة النفي ، و«مشه» من مادّة مَرْ بمعنى مُردن [الموت] . الثاني «سپنته» يعني المقدّس. فيكون المعنى : «جاودان مقدّس» [الخالد المقدّس] .

عدد «أمشاسپندان» أو «مهين فرشتگان» سبع ، وقد اندرج ستّ منها في الشهور الاثني عشر الحاليّة . هو من = **بَهْمَن** ، اشه وهيشته = **أُرديبهشت** ، خشتره ⇦

التأمّل في هذه الأُمور ، وإلى اهتمام المجلس بأعمال أهمّ منها ، ومناقشة الموادّ المهمّة التي تستلزم الاهتمام ، وعدم تضييع الوقت في تغيير الأسماء ، إلّا أنّ دعوتهم لم تلق أُذناً صاغية ، إذ تمّ التصويت على ما أرادوا حالاً .

وحقّاً لقد خدعوا النوّاب المعارضين في هذه الجلسة ، وقالوا :

إنّها ألفاظ تراثيّة قديمة لأجل حفظ الروح القوميّة .

ولم يناقش أحد أنّ هذه الألفاظ أُخذت من «**الأبستا**» ، وأنّ أسماء ستّة من الملائكة الممثّلين **لأهُورمزدا** [وجود غير مرئيّ وخالق الروح والحياة] الحي الدائم موجودة بين هذه الشهور ، وهي : أُرديبهشت ، وخرداد وأمرداد ، وشهريور ، وبهمن ، وإسفند .

وكثير من النوّاب المعارضين أصابهم الدوار فلم يعرفوا ماذا يقولون . وكانوا يقولون :

نحن لا نعارض الآداب والتقاليد القوميّة .

فلم يقل أحد : هذه الآداب القوميّة هي آداب زرادشت والمجوس وقد نسف الإسلام دين زرادشت وآدابه وشعائره ،

⇦ وائيريه = **شهريور** ، سپنته أرمئيتى = **سپندارمذ** ، هئورو تات = خرداد ، أمرتات = **أمرداد** ، ووقع **سپتامينيو** (العقل المقدّس) على رأس هذه الستّ . بعد ذلك استبدلوا **أهورامزدا** به ، وقد ذكر اسم **أمشاسْپندان** مرّات عديدة في «گات» وهو أقدم قسم في الابستا .

وشعّت شمسه المتألّقه فأذابت كلّ ما يدعو إلى ذكر «أهورمزدا» وملائكته .

وماذا يعني أن نجعل التأريخ على أساس الأيّام والشهور المجوسيّة في دولة إسلاميّة نظامها محمّديّ وتوجّهاتها قرآنيّة ؟ إنّه نسخ للإسلام ، وليس حديثاً عن ألفاظ جميلة حلوة . بل هو حديث عن غزو شيطانيّ غاشم لكيان الإسلام العظيم . إنّكم تضعون أسماء الشهور هذا اليوم بأسماء ملائكة الدين المجوسيّ ! وتبقون الهجرة النبويّة بداية للتأريخ بسبب خوفكم وعدم مؤاتاة الظروف ! وستبدّلونه غداً ! وتجعلون مكانه التأريخ الهخامنشيّ مع بداية جلوس سيروس ، وهو أكبر ملك هخامنشيّ على العرش ، أو مع بداية سلطنة كورش أو داريوش ! أو تجعلون بداية التأريخ اعتلاء البهلويّ على العرش ، كما فعل السلطان السلجوقيّ ، زاعمين أنّه المبدع للجديد ، والثائر ضدّ الرجعيّة والأفكار البالية !

لقد دافع أحد النوّاب في تلك الجلسة نوعاً ما ، وهو المرحوم شريعتمدار الدامغانيّ فقال مستدّلاً :

لا فائدة في تغيير أيّام الشهور وهو يمثّل خروجاً على الموازين العلميّة ، وأسماء الحَمَل ، والثَوْر والجَوْزاء ، أفضل من أسماء فروردين ، وأُرديبهشت ، وغيرها التي لا تحمل معنى مناسباً .

قال ذلك إلّا أنّه لم يسبر أغوار الموضوع ولم يبرهن على أنّ

الاقتراح المطروح حول تغيير التأريخ بوصفه إحياءً للسنن القوميّة ، هو في الحقيقة إحياء لسنّة زرادشت والمجوس وإماتة للأحكام الشرعيّة والمحمّديّة الأساسيّة في بلد إسلاميّ ، إذ ـ كما قلنا هنا ، وكما ذكرنا ملائكة الدين الزرادشتيّ في التعليقة ـ لعلّه لم يعلم ، ولم يطّلع على جذور هذا التغيير . لأنّ المقترحين خبّأوا مقاصدهم ، وخاضوا في الموضوع من منطلق استبدال الألفاظ العربيّة بالألفاظ القديمة فقط ، وقالوا :

إنّ المسألة مسألة تغيير الألفاظ فحسب ، وهي سهلة ويسيرة جدّاً .

وفي السابع والعشرين من حوت ١٣٠٣ الموافق للحادي والعشرين من شعبان سنة ١٣٤٢ ، ولثلاثة أيّام بقين للنوروز تمّ التصويت بأقصى سرعة وفي جلسة واحدة [١] فبدّلوا التأريخ ، [٢] وبعد

١ـ بحيث إنّهم لم يعيّنوا تعديل هذا التأريخ واكتفوا بجعل إسفند ثلاثين يوماً في السنين الكبيسة ، إلّا أنّ السنة الكبيسة لم تعيّن . ولهذا السبب كاد الخطأ يقع في سنة ١٣٠٨ ، لأنّه كان واضحاً كالمعتاد أنّ السنة الرابعة بعد السنوات الثلاث : ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ يجب أن تحسب كبيسة ، بينما الصحيح هو أنّها يجب أن تكون بسيطة لأنّ سنة ١٣٠٩ هي آخر سنة من دوران ٣٣ سنة ، ممّا ينبغي أن تجعل كبيسة . ولهذا السبب أخطأ أحد التقاويم فيها ، فاعتبر شهر إسفند من سنة ١٣٠٨ ثلاثين يوماً . وهذا العمل يقتضي أن يكون اليوم الثاني من الحمل مطابقاً لليوم الأوّل من فروردين. وهذا الخطأ منبثق عن خلل قانوني غفل عنه المجلس («تقويم سنة ١٣٠٩» للسيّد جلال الدين طهرانيّ ، ص ٧٨) .

٢ـ ما ذكرناه هنا عن مجلس النوّاب حول تغيير التأريخ،نقلناه عن الصحف ⇦

إجراء المراسيم المطلوبة ، صادقوا على هذا الاقتراح في الحادي عشر من فروردين سنة ١٣٠٤ شمسيّ [١٩٢٥/٣/٣١م] . وكان مؤتمن الملك (حسين بيرنيا) رئيساً للمجلس يومئذٍ ، فأرسل ما صادق عليه المجلس إلى الحكومة بوصفه بلاغاً تعميميّاً تنفّذه الدوائر الحكوميّة . وجاءوا بالألفاظ الجميلة لأُرديبهشت ، وبهمن ، وغيرها بوصفها هديّة العيد للشعب الإيرانيّ (عيد النوروز القوميّ) . وسقوا الشعب المسكين هذا السمّ الزعاف الذي تعلوه طبقة من القوميّة المعسولة ، إلى درجة أنّ كثيراً من الناس لم يعوا حقيقة الأمر لحدّ الآن فهم ينطقون بالأسماء القديمة دون أن يعرفوا جذورها .

وفي أعقاب اتّخاذ تلك الأسماء (فروردين ، أُرديبهشت وغيرهما) طابعاً رسميّاً في الدوائر الحكوميّة ، والمدارس ، والتقاويم والإعلانات ، نلاحظ **أوّلاً** : أنّ هذه الأسماء التي لم يعرفها إلى ذلك الزمن إلّا عدد يسير من الناس . قد اشتهرت وعرفت ، وانتقلت من المدارس إلى البيوت ، ومن تقاويم إداريّة إلى تقاويم جداريّة وبيتيّة فحفظ الكبير والصغير ، والرجل والمرأة آذر ، وبهمن ، وإسفند كما تحفظ سورة الإخلاص .

⇦ الرسميّة الملكيّة [التي كانت تصدر في العهد البهلويّ البائد] من ص ١٠١٠ إلى ١٠١٤ ومن ص ١٠٥٦ إلى ص ١٠٦٠ . فيما يتعلّق بالجلسة الثالثة والأربعين بعد المائة المحضر المفصّل ، صباح الثلاثاء ٢٧ حوت ١٣٠٣ الموافق للحادي والعشرين من شعبان سنة ١٣٤٢ .

وثانياً : أنّ أسماء : محرّم ، وصفر ، وربيع الأوّل ، وجمادى الآخرة ، وذي القعدة وغيرها قد زالت تدريجيّاً . فلا أحد يعرف هذه الشهور ، ولا يدري متى تبدأ ومتى تنتهي ، ولا يطبّق ممارساته اليوميّة وواجباتة الاجتماعيّة ومراسيمه ودعواته وحفلاته ومآتمه على هذه الشهور .

وكان شهر محرّم ، وشهر رمضان أشهر من غيرهما نسبيّاً بسبب إقامة العزاء ، والصوم . وجميع الناس الذين كانوا يصومون ـ إلّا الشيوخ الكبار منهم ـ يقولون : نصوم هذه السنة من ١٥ بهمن إلى ١٤ إسفند . مثلهم في ذلك مثل الشباب الذين يقيمون في الخارج فإنّهم يؤدّون عباداتهم حسب الشهور الميلاديّة مثل **فبراير** ، **ومارس** ، **وأبريل** ، **ومايو** ، **ويونيو** ، **ويوليو** ، وغيرها . وهذا التوجّه يتأسّى بالمنهج الذي رسمه الاستعمار الكافر لعزل النظام الإسلاميّ الرصين .

ومن هنا نفهم جيّداً مبلغ ما حقّقه الكافر من نجاح في تحقيق هدفه ، إذ وضع الأسماء الأجنبيّة والمجوسيّة بدل الأسماء الإسلاميّة وجعلها متداولة مستعملة من قبل الرجل والمرأة ، والعالم والعامّيّ والموظّف الحكوميّ والتاجر ، والعامل والفلّاح ،[1] حتّى لوحظ أنّ

١ـ وأحدثوا مثل هذا التغيير في الساعات ، وذلك بناءً على دخول الشهور القمريّة التي تبدأ بخروج القمر من تحت الشعاع ، ورؤيته بعد غروب الشمس، ⇦

بــعض العـلماء يسـتعملون الشـهور القـديمة فـي بـياناتهم أيـضاً .

⇦ فإنّ أوّل كلّ شهر قمريّ يبدأ من أوّل ليلته ، وليلة كلّ يوم مقدّمة على اليوم نفسه. لذلك فإنّ الساعة ١٢ هي أوّل الغروب وبداية دخول الليل ، وكلّ ساعة تمرّ تعني أنّ ساعة واحدة من الليل قد مضت. ولهذا جاء في الشرع المقدّس ذكر الواجبات التي يقوم بها الإنسان في الساعة الأُولى أو الثانية أو الثالثة أو الرابعة التـي مـضت مـن الليل. وهذا يكون إذا ما جعلنا بداية حساب الساعة، وهو أوّل الليل ، الساعة ١٢، أي : أوّل الساعة، وحينئذٍ نرى أوّلاً : أنّـه سيتّضح كم ساعة قد مضت مـن اللـيل، فالساعة السادسة تعني أنّ ستّ ساعات مضت من الليل . وثانياً: أنـّنا سنعلم عدد ساعات النهار من خلال بياض النهار ، لأنّ الساعة ١٢ تعني غروب الشمس وبداية الليل، فنعلم أنّ الساعة ٥ في النهار تعني أنّ عندنا سبع ساعات من النهار ، والساعة ٩ تعني أنّ عندنا ثلاث ساعات من النهار . وعلى هذا فساعة التوقيت المسائيّ لتحديد مقدار الليل ، ومقدار النهار بسيطة ومفيدة جدّاً . والمسلم الذي يريد أن يستفيد من ليلة ويستمثر نهاره يعلم كم مضى من الليل ، وكم بقى للنهار .

وأمّا الساعات الزواليّة (التوقيت الظهريّ) فلا تدلّ على الليل والنهار . أنـّـها تدلّ على منتصف الليل ومنتصف النهار فقط ، بينما نرى أنّ عملنا يـبدأ مـن أوّل الغروب، فما جدوى بداية منتصف الليل لنا ؟ مضافاً إلى ذلك فإنّ الساعة الواحدة تعني الواحدة صباحاً ، بينما قد مضى على أوّل الليل ساعات أكثر ، والساعة الواحدة لا تعني الساعة الواحدة حينئذٍ .

والصبح بالنسبة إلى الإنسان المسلم عبارة عن أوّل الفجر الصادق أو أوّل طلوع الشمس، وبعد ذلك يبدأ يومه ، لا أنّ يومه يبدأ من منتصف الليل . فبداية منتصف الليل للأشخاص الذين لا يفرّقون بين الليل والنهار وبداية كلّ واحد منهما ونهايته. إذ إنّهم قسّموا الساعات الأربع والعشرين إلى قسمين كلّ منهما اثنتا عشرة سـاعة، بداية منتصف النهار، ومنتصف الليل ، شأنهم بذلك كغير المسلمين . وفي هذه ⇦

ويستعملون التأريخ الشمسيّ والأسماء المجوسيّة في تواقيعهم . وقد يلحقون التأريخ القمريّ بها أحياناً ، فيستعملون ما يطابق السابع من المحرّم سنة ١٣٨٧ هـ مثلاً . وقد يتركون ذلك التأريخ مكتفين

⇦ الحالة فإنّ ما بعد الساعة ١٢ ليلاً يعود إلى غد تلك الليلة ، ومنتصف الليل بعد ذلك اليوم إلى الساعة ١٢ يعود إلى اليوم نفسه أيضاً. أي : أنّ كلّ يوم كامل يتألّف من منتصفي ليل مقدّم ومؤخّر . ولهذا يقولون : ليلة الثلاثاء، ومساء الثلاثاء ، أي : ليلة سابقة وليلة تالية .

أمّا في ضوء الشهور القمريّة فإنّ لليوم ليلة كاملة حتماً ، وتلك الليلة تسبق نهار ذلك اليوم ، فلا يحدث خطأ في الحساب ، فليلة الثلاثاء تعني الليلة التي تسبق يوم الثلاثاء، والليلة الرابعة عشرة من شهر رمضان تعني الليلة التي تلي اليوم الثالث عشر منه، وهكذا ؛ وجميع الأحكام والواجبات المقرّرة لليالي ، هي لليالي التي تسبق النهار، وتبدأ من أوّل الليل، أي : الساعة ١٢ ، أوّل التوقيت المسائيّ . [التوقيت يبدأ من الغروب]

ولكن لمّا كانت ساعات التوقيت الظهريّ [الظهر بداية التوقيت] متداولة في البلدان الغربيّة، فإنّ حكومات البلدان الإسلاميّة وقّتت ساعاتها تدريجيّاً على أساس ساعة غرينتش الزواليّة. وسارت الشعوب شيئاً فشيئاً على نهج حكوماتها . إذ وقّت الناس الساعات في بيوتهم حسب التوقيت الظهريّ ، وذلك من أجل الاستماع إلى المذياع وغيره حيث تستعمل الساعات الزواليّة ، ومن أجل إرسال أطفالهم إلى المدارس، والذهاب إلى الدوائر . في حين أنّهم يحصلون على فوائد أكثر إذا استعملوا التوقيت المسائيّ [الغروب بداية التوقيت] .

وكانت ساعة التوقيت الظهريّ تسمّى الساعة الإفرنجيّة [الأجنبيّة] ، أو الإنجليزيّة، أمّا ساعة التوقيت المسائيّ فتسمّى : الساعة الشرعيّة .

بالتأريخ القديم وحده .

فهذه هي المرحلة الثانية من التغيير ، وقد طوت خمسين سنة من عمرها . وكانوا يتحيّنون الفرص باستمرار لتنفيذ المرحلة الثالثة من المشروع ، والأهم من التغيير الحاصل في المرحلتين السابقتين وهو نسخ التأريخ الهجريّ واستبداله بالتأريخ الشاهنشاهيّ . أي : نسخ رسول الله نفسه ، وسيطرة الطاغوت ، ورسميّة حكّام الجور وتلاعبهم بمقدّرات الشعب وعقائده .

وعلى الرغم من أنّ الطاغوت كان يحكم قبضته على الشعب مدّة طويلة ، إلّا أنّه لم يعلن حتّى ذلك الحين عن نسخ حكومة رسول الله ، والقرآن ، ونسخ الشرف والفضيلة والوحي والنبوّة والولاية ، ونسخ الإيمان والعقيدة .

وإذا هم يعلنون ـ بهذا التغيير ـ على رؤوس الأشهاد عدم الحاجة إلى الدين ، والنظام المحمّديّ ، وقطع حلقة الوصل بين الظاهر والباطن ، والخروج من كنف رسول الله المعنويّ الروحانيّ والاستغناء عن الأحكام الإلهيّة .

ونعرض فيما يلي ما جاء في العدد ١٤٩٥٩ من صحيفة «اطّلاعات» المؤرّخة في ٢٤ إسفند ١٣٥٤ [١٩٧٥/٣/١٥ م] ثمّ نتطرّق إلى الحديث عنه بشكل مقتضب :

العنوان البارز في الصحيفة :

تمّت اليوم المصادقة على قرار تأريخيّ اتّخذه المجلسان في جلستهما المشتركة ويقضي بتغيير التقويم وبداية التأريخ في إيران . وسيكون عيد النوروز القادم في سنة ٢٥٣٥ الشاهنشاهيّة .

هويدا ، رئيس الوزراء : التقويم الدينيّ سيبقى ساري المفعول كما في السابق .

القرار الصادر عن الجلسة المشتركة لمجلسي الشيوخ والنوّاب التي ترأسها جعفر شريف إمامي في قصر الأعيان .

حيّا رئيس الجلسة في البداية العائلة البهلويّة المالكة وقدّم شكره لها على ما قامت به من جهود مضنية لرفعة البلد وشموخه ورقيّة طيلة خمسين عاماً معرباً عن تقديره لذلك . واعتبر ثورة الشاه والشعب السبيل الوحيد لتحرّر الوطن واستقلاله .

وفيما يلي نصّ القرار :

بإيمان قاطع بالنظام الشاهنشاهيّ [الملكيّ] الذي كان منذ أكثر من خمسة وعشرين قرناً ركناً ركيناً لدولتنا وحصناً حصيناً لقوميّتنا قرّر المجلسان اعتبار حكومة كورش الكبير مؤسّس النظام الشاهنشاهيّ في إيران بداية للتقويم واستهلالاً لتأريخ إيران القوميّ .[1] وباعتقاد راسخ بمبادئ

١ـ ينبغي أن نعلم أنّ جميع المسلمين في العالم ، منذ عصر صدر الإسلام وإلى الآن ، جعلوا بداية تأريخهم هجرة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة . وهذا القرار الذي صادق عليه المجلسان يمثّل ⇦

حزب رستاخيز [البعث] الإيرانيّ صادق المجلسان على هذا القرار وذلك في جلستهما المؤرّخة في الرابع والعشرين من إسفند سنة ألف وثلاثمائة وأربع وخمسين .

وقد استهلّ رئيس المجلس الكلام في هذه الجلسة ، ثمّ تلاه السناتور الدكتور عيسى صدّيق ، وتحدّث بعده كلّ من : هلاكو رامبد والسناتور عماد تربتي ، والدكتور مصطفى ألموتي ، والسناتور شوكت ملك جهانباني ، والدكتورة مهين صنيع . وعندها تمّت المصادقة على القرار بالإجماع .

وقد أثنى شريف إمامي في كلمته الافتتاحية على جهود الشاه ودعا إلى دمج المجلسين بسبب ضيق الوقت ، ثمّ طلب أن يتكلّم ثلاثة أعضاء من كلّ

⇦ خروجاً من الصفّ الإسلاميّ ، وإعلان الانفصال عن المسلمين بعدم الاهتمام بشأن رسول الله . وذكر المسعوديّ في كتاب «التنبيه والإشراف» ص ١٩٥ إلى ٢٤٠ : أنّ المسلمين بعد الهجرة كانوا يسمّون السنين بالحوادث المهمّة التي تقع فيها، ويصبح ذلك الاسم علماً لها ، فأطلقوا على السنة الأُولى : سنة الهجرة ، والثانية : سنة الأمر، والثالثة: سنة التمحيص ، والرابعة : سنة الترفيه ، والخامسة : سنة الأحزاب، والسادسة: سنة الاستئناس ، والسابعة : سنة الاستغلاب ، والثامنة : سنة الفتح، والتاسعة: سنة ... ، والعاشرة : سنة حجّة الوداع ، والحادية عشرة : سنة الوفاة؛ ويقول في ص ٢٥٢ : وفي السنة ١٧ أو ١٨ شاور عمر الصحابة حول التأريخ ، فكثر منهم القول ، فأشار عليه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أن يؤرّخ بهجرة النبيّ وتركه أرض الشرك . فجعلوا التأريخ من المحرّم ، وذلك قبل مقدم النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم إلى المدينة بشهرين واثني عشر يوماً ، لأنّهم أحبّوا أن يبتدئوا بالتأريخ من أوّل السنة .

مجلس (يوم ميلاد رضا شاه) .

وتُلي القرار من قبل الدكتور جواد سعيد نائب رئيس المجلس النيابيّ ، ثمّ تحدّث هويدا .

وكان المتحدّث الأوّل هو الدكتور صدّيق ، فأشاد بجهود رضا شاه ، وتحدّث عن الظروف التي كانت تمرّ بها إيران آنذاك والفوضى التي كانت سائدة . وأحصى الإنجازات الهامّة التي حقّقها رضا شاه يومئذٍ ، ومنها :

إيفاد الطلبة الجامعيّين إلى الخارج ، وتأسيس جامعة طهران في فروردين سنة ١٣١٠ [١٩٣١ م] والتعليم المجّانيّ في جميع أرجاء البلاد ، وتشكيل النوادي ، وإنشاء المسابح من قبل وليّ العهد ، وإقامة الذكرى الألفيّة للفردوسيّ سنة ١٣١٣ ، وافتتاح مقبرته في طوس (وفي تلك السنة أقامت الجامعات العالميّة المهمّة احتفالات لتكريم الفردوسيّ وخدماته للغة الفارسيّة ، والقوميّة الفارسيّة ، وتأريخ الفرس) ، وإنجاز مهم جدّاً كان يبدو مستحيلاً ، وهو إلغاء الحجاب في ١٧ دي ١٣١٤ [١٩٣٥/١/٧ م] ، وتجمّع العلماء من شتّى أنحاء العالم للتحقيق حول الفردوسيّ والمفاخر الفارسيّة . حيث أطال الشرح في هذا المجال ، وتحدّث عن جهود الشاه محمّد رضا وخدماته . ثمّ تطرّق إلى ما يسمّى بالثورة البيضاء . وتحدّث بعده السناتور عماد تربتي فتطرّق إلى مواضيع شتّى كما فعل صدّيق . وتلاه السناتور شوكت ملك جهانباني ، فتحدّث عن جهود رضا شاه في إعلانه وإلغاء الحجاب . وتحدّث بعده الدكتور مصطفى ألموتي فخاض في ما خاضوا فيه . أعقبه

هلاكو رامبد ، فالدكتورة مهين صنيع اللذين دار حديثهما حول المواضيع المطروحة نفسها .

وبعد المصادقة على القرار ، تحدّث السناتور العلّامة وحيدي . ولمّا كان حديثه مشحوناً بالافتراء والكذب والمكر ، وفيه ما فيه من التشويه والتدليس والتبديل المعنويّ ، إذ أعلن عن دعمه لحكّام الجور بدهاء عجيب مع الدليل والبرهان ، وأشاد بهم على لسان رسول الله مطبّقاً الروايات والأخبار المأثورة حول الإمام العادل على السلاطين الجائرين والحكّام الفاسقين الظالمين ، لذلك ننقل حديثه هنا نصّاً ليطّلع القرّاء على كيده وتدليسه وتلبيسه . بدأ حديثه قائلاً :

اسمحوا لي أن أوافيكم بموجز عن عظمة كورش الكبير مؤسّس الشاهنشاهيّة الفارسيّة ، وعن وجوب طاعة الملوك والحكّام مستهدياً بمبادئ الدين الإسلاميّ المبين ، وموازين الاستنباط والاجتهاد .

لقد جاء في علم الأُصول أنّ مصادر الاستنباط هي : الكتاب ، والسنّة ، والإجماع ، والعقل . فالكتاب هو القرآن المجيد ، كتاب سماويّ ومرشد عالميّ نزل على الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم . ويلاحظ في هذا الكتاب الإلهيّ المقدّس آيات باهرة تتحدّث عن شخصيّة كورش الكبير وإنسانيّته وحبّه الخير للآخرين ، وتسمّيه : **ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ** . قال تعالى : **وَيَسْئَلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو مِنْهُ ذِكْرًا** ، وتسمية كورش الكبير بذي القرنين من لطائف المعجزات في القرآن المبين ، إذ ثبت بعد بحوث علميّة دقيقة أنّ

طرفي قبّعة هذا الإمبراطور لهمانتوآن . ولذلك ذكر القرآن الكريم هذا الملك العظيم بذي القرنين .

ثمّ قال دفعاً للشبهة التي ترى أنّ المقصود بذي القرنين هنا هو الإسكندر :

كان الإسكندر ظالماً سفّاحاً ، والقرآن الكريم لا يمدح الظالم السفّاح أبداً .

وقال بعد ذلك :

وتعكس آيات أُخرى أيضاً فكر هذا الإمبراطور العادل وسلوكه .

وأردف قائلاً :

وأنا أتحدّث عن عظمة هذا الملك والاعتقاد بنظام الملكيّة والسلطنة ، أنقل لكم ما جاء في الخبر أنّ الله الجليل خاطب نبيّه إبراهيم الخليل قائلاً : يا إبراهيم ! أنت مظهر علمنا والمَلِك مظهر ملكنا . ويستنبط من هذا الخبر أنّ مقام الملكيّة والسلطنة الشامخ كان ولا يزال يستظلّ بعناية إلهيّة خاصّة .

وقال الشاعر جلال الدين مولويّ إشارة إلى مضمون هذا الخبر :

«پادشاهان مظهر شاهی حقّ» [1]

وتقرّر السنّة النبويّة هذا الخبر أيضاً . وجاء في المأثور والخبر المشهور أنّ النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يشير مراراً إلى عظمة الزمن الذي ولد فيه ، فقد نقل عنه قوله في جمع من أصحابه : **وُلِدْتُ فِي زَمَنِ الْمَلِكِ**

١ـ معناه : الملوك مظهر لملك الحقّ .

الْعَادِلِ . ونجد هنا أنّ النبيّ الأعظم يثني بكلّ صراحة على أنوشيروان إمبراطور فارس آنذاك .

أمّا الحديث الآخر الذي يوجب طاعة الملك بكلّ وضوح وأرى من الأفضل قبل ذكره أن أُنْبّه على مصدره ، ثمّ أتطرّق إليه لئلّا يتبادر إلى الأذهان أنّ هذا الكلام غير مأثور ، ولا يمكن التعويل عليه . فمصدره كتاب معتبر وعظيم لأحد علماء الإسلام ، وهو الشيخ الصدوق . والحديث مذكور في كتابه «الأمالي» ، وجاء فيه : **لَا تُذِلُّوا رِقَابَكُمْ بِتَرْكِ طَاعَةِ السُّلْطَانِ !** إلى أن يقول : **وَإِنَّ صَلَاحَكُمْ فِي صَلَاحِ سُلْطَانِكُمْ وَإِنَّ السُّلْطَانَ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ الرَّحِيمِ ؛ فَأَحِبُّوا لَهُ مَا تُحِبُّونَ لِأَنْفُسِكُمْ وَاكْرَهُوا لَهُ مَا تَكْرَهُونَ لِأَنْفُسِكُمْ** .

وثمّة حديث آخر جاء في هذا الكتاب المعتبر والقيّم ، وهو قوله : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : **طَاعَةُ السُّلْطَانِ وَاجِبَةٌ ، وَمَنْ تَرَكَ طَاعَةَ السُّلْطَانِ فَقَدْ تَرَكَ طَاعَةَ اللهِ ، عَزَّ وَجَلَّ وَدَخَلَ فِي نَهْيِهِ** .

ونرى هنا أنّ هذا الحديث يعتبر طاعة الملك كطاعة الله ولا غبار عليه .

وأمّا وجوب طاعة الملك بالإجماع ، فإنّنا لمّا كنّا نعلم أنّ الإجماع هو الرأي الكاشف عن قول المعصوم ، وأنّ سيّد المعصومين وإمامهم أوجب طاعة الملك بالنظر إلى وحدة الملاك فمن هذا المنطلق تصبح طاعة الملك واجبة .

وبخاصّة علينا نحن الإيرانيّون الذين لنا خصوصيّاتنا الإيمانيّة والروحانيّة كما قال مولى المتّقين وأمير المؤمنين . وقد عُرفنا في التأريخ أنّنا نعتبر أوامر الشاه هي أوامر الله سواء كانت صادرة من الله أو من الشاه ، وذلك

انطلاقاً من سنننا القوميّة .

ومن الجدير ذكره أنّ طاعة الملك مسلّمة الصدور عن المعصوم حسب ما تفيده الأخبار العديدة ، لذلك نعتبرها كالإجماع المصطلح بالنظر إلى وحدة الملاك .

وأمّا الدليل العقليّ الذي يدور حول لزوم طاعة الملك ، فمن البديهيّ أنّ معصية الملك العادل والعالِم والمقتدر تؤدّي إلى تخلخل النظم ، وتصدّع الأُمور السياسيّة والاجتماعيّة والعلميّة والاقتصاديّة وغيرها .

لَوْلَا السُّلْطَانُ لَأَكَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضَاً .

أيّها النوّاب المحترمون ! ولحسن الختام نذكر حديثاً مشهوراً نقله شيخ المحدّثين الحرّ العامليّ ، وهو قوله : **السُّلْطَانُ ظِلُّ اللهِ فِي الْأَرْضِ ، يَأْوِي إلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ** . وقد ترجمه الشاعر العزيز سعدي شعراً ، وأضاف إليه امتزاج الظلّ بصاحبه :

پادشه سايۀ خدا باشد   سايه از ذات كى جدا باشد؟[1]

والآن حيث تمّ تشكيل هذه الجلسة الحماسيّة المشتركة لتكريم الذكرى الخمسين للحكومة الشاهنشاهيّة البهلويّة المباركة التي تتزامن مع الميلاد السعيد لعميد الأُسرة الشاهنشاهيّة ، يطيب لي أن أبعث السلام والتحيّة إلى الروح الطاهرة لهذا الشاهنشاه الكبير ، وأسأل الله تعالى أن يمنّ علينا بتوفيق الطاعة لجلالة الشاهنشاه آريامهر وخدمته أكثر فأكثر .

١ـ وتعريبه : السلطان ظلّ الله ، ومتى انفصل الظلّ عن الذات ؟

يحيا الشاهنشاه آريامهر ، والملكة الكريمة فرح ، ووليّ العهد الميمون رضا .

تحيا إيران .

ويلاحظ من خلال التمعّن في هذا الكلام كم مسخ العلاّمة الوحيديّ نفسه وكم شوّه الحقائق الواضحة .[1]

١ـ العلاّمة الوحيديّ نجل الشيخ أبو القاسم رئيس العلماء الكرمانشاهيّ ، ومن أحفاد المرحوم آية الله الشيخ محمّد باقر الوحيد البهبانيّ . وكان من الطلاّب الفضلاء في النجف الأشرف ، ومن تلاميذ أساتذة بارزين كالشيخ ضياء الدين العراقيّ . وقيل إنّه حصل على إجازات متعدّدة في الاجتهاد من مختلف العلماء . وفي سنة ١٣١٤ شمسيّ (١٩٣٥ م) حيث أمر رضا شاه بعقد مجالس الضيافة المختلطة، كان هذا الرجل وزوجته من المدعوّين في كرمانشاه . وكان المضيّف هو السيّد أصغرشاه. وبينما حضر مدير شرطة المدينة وكثير من المدعوّين مع زوجاتهم السافرات، دخل العلاّمة الوحيديّ ، وكان يعتبر أحد العلماء ، دخل بزيّ علماء الدين مع زوجته ونظم قصيدة طويلة قرأها في ذمّ الحجاب مطلعها : «به شرع أحمد مرسل حجاب لازم نيست» يعني : «لا ضرورة للحجاب في شريعة أحمد المرسل» . ثمّ تعرّض إلى مدح البهلويّ . وجاء بعدها إلى طهران ونزع العمامة والجبّة والعباءة ولبس البنطلون ووضع رباط العنق ، وحلق لحيته . ولم يألُ جهداً في مؤازرة الأُسرة البهلويّة حتّى آخر عمره . وكان من وعّاظ السلاطين . وأحد أعضاء مجلس الشيوخ والنوّاب مدّة طويلة إلى أن نزلت على رأسه صاعقة وذاق جزاء أعماله المشينة. **وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ** (الآية ٣١ ، من السورة ١٣ : الرعد) . وعاش الوحيديّ حياة الترف طيلة الحكم البهلويّ الجائر الذي امتدّ لخمسين سنة . وباع ⇦

ولا نناقش هنا ما قاله سائر المتحدّثين ، ولا قضيّة رفع الحجاب وانتهاك عفّة النساء ، أو تكريم الفردوسيّ صانع الأساطير الذي اعتبروه رمزاً للقوميّة ، ورفعوه في مقابل الإسلام بذريعة مجابهة العرب ومواجهتهم ، وتجمّعوا حول تمثاله ليلطموا عليه الصدور ، وأمثال هذه الخزعبلات ، ذلك لأنّ هؤلاء المتحدّثين أشخاص معروفون لا يخفى أمرهم على أحد ، إذ درسوا منذ طفولتهم في هذه المدارس الاستعماريّة ، وتعلّموا على يد هؤلاء المعلّمين الذين يسيرون على منهج مرسوم لهم من الخارج لإضعاف الإسلام والتبجّح بالقوميّة الفارسيّة الزرادشتيّة المجوسيّة البالية . فلا نرتّب أثراً على سماع هذه الكلمات المكرورة التي يجترّونها .

وذلك لأنّ اتّجاه هؤلاء ومبدأهم ومنتهاهم وغايتهم وهدفهم ليس إلّا هذه الكلمات الجوفاء الفارغة التي لا تُغني ولا تُسمن . ولعلّهم درسوا في الخارج وسمعوا هذه الأباطيل من أُولئك الأساتذة الأجانب الذين يتظاهرون برغبتهم في تقدّم البلدان الشرقيّة ورقيّها

⇦ دينه وشرفه لأجل دنياه . وأصبح في زمرة المستجدين والوصوليّين النفعيّين المجتمعين على مائدة الظلمة الملطّخة بالدم إلى أن صار هدفاً لرصاصة الغيب الإلهيّ **خائباً قد خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ** ، وإذا به يهوي في جهنّم بغتة ، فيُحشر مع مواليه ؛ **ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِن بَعْضٍ** . وهذا هو الجزاء الدنيويّ ، فماذا سيكون الجزاء الأُخرويّ ، **وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إلَّا الْمَوْتُ لَكَفَى ، كَيْفَ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ أَعْظَمُ وَأَدهَى** .

كأنّهم أعطف عليها من أهلها . ولنا أن نقول لهم : أظئر أعطف من أُمّ على ولدها ! فقد سمعوا تلك الأباطيل وتعلّموها وتعلّقت بها أرواحهم فأصبحوا أدوات طيّعة بِيَدِ الأجانب والاستعمار الكافر . لذلك لا عجب أن يعتبروا الشاه البهلويّ الإمبراطور العادل الوحيد الذي يرعى شعبه ، وهو الذي يشهد التأريخ على عمالته للاستعمار ، وقد تسلّط على رقاب الناس بالحديد والنار ، وفُرض على الشعب المسلم طيلة خمسين سنة فأذاقه الأمرّين إبعاداً وسجناً وتعذيباً وقتلاً وأسراً .

بل العجب من الوحيديّ وأمثاله ، إذ كيف يبيعون شرفهم وكرامتهم وهم على ما هم عليه من الرصيد العلميّ تطيباً لقلب ملك جائر هم أعرف بظلمه منّا ، ويلهجون باسمه في المجالس والمحافل الخاصّة من أجل حطام الدنيا الزائل . ويتملّقون تملّقاً تشمئزّ منه الطباع ليقتاتوا من فتات مائدته الوضيعة . ويضحّون بدينهم وكتابهم ونبيّهم ويبيعونها بثمن بخس من أجل منصب لا يبقى ، وبغية التزوّد من الحطام الكاسد لأُولئك الزعانف التافهين .

فكلّ عاقل وعالم له أدنى إلمام بمادئ الأُصول والفقه في الإسلام يفهم من كلام هذا الرجل أنّه لم يأت بشيء غير التزوير والخداع والمكر والزيغ ، ولم يقدّم للناس إلّا تشويه الحقائق .

فالقرآن الذي نزل من الباري تعالى لتوطيد دعائم العدل

والتوحيد ، متى أوجب طاعة الحاكم ؟ والنبيّ الذي عانى ما عانى من الهموم طيلة ثلاث وعشرين سنة لتثبيت أركان التوحيد والعدل والكفاح ضدّ الشرك والظلم . وطيلة مدّة هجرته لعشرة سنوات في المدينة كان في الصفّ الأوّل للمجاهدين وأقربهم إلى العدوّ ، وكان يذهب في الغزوات التي كانت تقع في كلّ شهرين على النحو المتوسّط ،كيف يأمر بإطاعة الملك ، ويفرض اتّباعه بلا نقاش ؟

وهذه الروايات التي نقلها مع ما فيها من الضعف والإرسال في سندها لا تدلّ على اتّباع الحاكم الجائر . فالمراد بالسلطان هو السلطان العادل ، والإمام بالحقّ أو الفقيه الجامع للشرائط المنصوب من قبل الإمام .

وحرمة اتّباع السلطان الجائر ، والاقتداء بالحاكم الفاسق العاصي وفقاً للحديث المتّفق عليه بين الفريقين القائل : **لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ** لا تُبقى إطلاقاً أو عموماً لمطلقات وجوب طاعة السلطان على فرض صحّة سندها . وقد حصر القرآن الكريم وجوب الطاعة برسول الله ، وأُولي الأمر المراد بهم أئمّة الدين وخلفاء المرسلين بالحقّ ، وأوجب القرآن طاعة الأنبياء العظام المبعوثين من ربّ العالمين لا غير ، وأمر بلزوم اتّباعهم واقتداء الناس بهم .

والقرآن الذي يعنّف حكّام الجور في العالم كفرعون ،

والنمرود ، وهامان ومن دار في فلكهم ، ويأمر الأُمم باتّباع الأنبياء ويحثّها على التمرّد ضدّ أُولئك الطغاة الذين وقفوا بوجه الأنبياء ، كيف يوجب طاعة أمثالهم بلا قيد ولا شرط ؟

إنّ خيانة الوحيديّ في نقل هذه الأخبار تتمثّل بـ: **أوّلاً** : في طرحه هذه الأخبار وكأنّها صحيحة السند ومشهورة ومعروفة ، وهي ليست كذلك طبعاً ، ولم يذكرها أيّ كتاب من مجاميع الشيعة أو السنّة بسند صحيح . وثانيا : في إطلاقه لها وتغاضيه عن ذكر القيد والمقيّد والخاصّ ، والمخصّص . وهذه خيانة عظمى .

وثمّة مؤاخذة كبيرة على من قال بأنّ ذا القرنين المذكور في القرآن هو كورش الفارسيّ . وعلى فرض صحّة هذا المعنى ، فإنّ القرآن أثنى على شمائل ذي القرنين وحسب ، ولم يرد فيه ذكر يؤكّد على لزوم متابعته بوصفه ملكاً ، فأين وجد ذلك ؟ ليدلّنا ويرينا ما وجده .

والعجيب أنّه يستدلّ على أنّ ذا القرنين لا يمكن أن يكون الإسكندر المعروف ، لما قيل إنّه كان ظالماً والقرآن لا يمدح الظالم ، فكيف يجوز له حينئذٍ أن يوظّف هذا الكلام من أجل لزوم اتّباع الشاه والشاهنشاه والأُسرة البهلويّة ، ويزعم أنّ ذلك جاء في بيان القرآن وعلى لسان الأخبار ؟ وكأنّ هؤلاء جميعهم معصومون وطاهرون ومطهّرون ، أو كأنّهم ملائكة ، أو هم الذين نزلت فيهم

آية التطهير !

إنّ ما ينسب إلى رسول الله قوله : **وُلِدْتُ فِي زَمَنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ** حديث مزيّف وموضوع لم تذكره كتب الحديث الشيعيّة والسنيّة كلّها . فقد كان أنوشيروان رجلاً ظالماً ولم يمدحه رسول الله . وقوله : « كلام مأثور وخبر مشهور أنّ النبيّ الأكرم كان يشير مراراً إلى عظمة الزمن الذي ولد فيه ، وهو في جمع من أصحابه» كذب محض .

من أين جاءت شهرة هذا الخبر ؟ وفي أيّ كتاب من كتب الحديث أو الفقه أو الرجال اشتهر ؟ ونبيّنا لم ينطق بذلك في جمع من أصحابه قطّ ، فضلاً عن أنّه قال ذلك مراراً .

وكلام الفردوسيّ : « چه فرمان يزدان چه فرمان شاه» أي : «سواء كانت أوامر الله أو أوامر الشاه» يتوكّأ على دين المجوس الذين يعتقدون أنّ الشاه ممثّل عن الله ، فما علاقة ذلك بالإسلام ؟ والإسلام يرفض الإله الذي هو في مقابل الشيطان ، ويعتبر الاعتقاد به شركاً وثنويّة ، فضلاً عن أنّه ظلّ الله وممثّله .

إنّ الفردوسيّ مسؤول أمام الله وسيقف في ساحة العدل الإلهيّ في عرصات القيامة على ما ارتكبه من أخطاء ، وما فعله من خلط وخبط . وعليه أن يستعدّ للجواب . فشعره أبعد ما يكون عن الحقائق وقد فرض على الناس طاعة السلطان والشاه والحاكم مهما كانوا .

ثمّ إنّ الوحيديّ قلب المعنى تماماً في كلام نقله ، وهو قوله : **وَإِنَّ صَلَاحَكُمْ فِي صَلَاحِ سُلْطَانِكُمْ** . لأنّ معنى هذا الكلام هو «أنّكم ستكونون صالحين إذا كان سلطانكم صالحاً» . أمّا الوحيديّ فإنّه قلب المعنى بقوله : «صلاحكم فيما يراه الملك صالحاً لكم» . أي : ستكونون صالحين إذا طبّقتم ما يراه الملك صالحاً لكم **!** وهذه خيانة في الترجمة .

وممّا يستشكل عليه (الوحيديّ) هو أنّه لمّا أراد الاستهداء بالإجماع كأحد الأدلّة الاصطلاحيّة الأُصوليّة الأربعة التي أقامها ، ولم يكن هناك إجماع قطّ ، قال : لمّا كان قول المعصوم ملاكاً لحجيّة الإجماع ، وقوله حجّة من حيث الكاشفيّة ، وجاء ذكره في هذه المسألة ، فملاك الإجماع قائم بناءً على وحدة ملاك الإجماع والخبر الصادر عن المعصوم . في حين أنّ أهل العلم والتخصّص في علم الأُصول يعلمون أنّ هذا ليس إجماعاً ، فالإجماع في مقابل السنّة التي تمثّل الروايات الصادرة عن المعصوم ، عبارة عن اتّفاق المسلمين جميعهم اتّفاقاً كاشفاً عن رأي المعصوم . أمّا هذا المُتَحَدِّث فإنّه زوّر معنى الإجماع ليزيد أدلّته ، وبعبارة أُخرى ، أراد الخيانة أيضاً في مسألة أُصوليّة ، لتتمّ خدمته ، وتظهر الأدلّة الأربعة جميعها قائمة وثابتة .

وأمّا الدليل العقليّ ، فإنّ العقل يحكم بخلاف ما قالوا ، ويحكم

بأنّ الإنسان لا ينبغي له أن يتّبع الباطل والفساد ، ولا يحقّ له أن يطيع السلطان الجائر والحاكم الظالم ، بل عليه أن يحرّر نفسه من ربقة حكومته التعسفيّة . يطيع السلطان العادل ذا الرؤية الواقعيّة ، المنكر لذاته والمضحّي والمتحمّس من أجل الأُمّة ، والمتحقّق بالحقيقة وواقع الأمر ، ذا السريرة النقيّة من شوائب الرذائل الأخلاقيّة وحبّ الدنيا ونزوة حبّ الظهور والصيت والسمعة ، والنَّفَس الاستكباريّ والغرور ، والعجب ، والتمحور .

أجل ، فلقد فصّلنا الكلام هنا في تفسير ما قاله ليعلم الناس أنّ حكّام الجور في كلّ زمان يحتضنون مثل هؤلاء في أجهزتهم الحكوميّة ويهتمّون بإعدادهم إعداداً خاصّاً وذلك لخداع الناس وإضلالهم ، وليسود الصمت المطبق والوجوم على الأجواء فلا ينبس أحد ببنت شفة .

وعندئذٍ لا يتعجّب أحد كيف أصبح أمثال أبي هُريرة ، وأبي الدرداء ، وكعب الأحبار ، وسَمُرَة بن جُنْدُب وغيرهم من الذين كانوا في عداد الصحابة فترة من عمرهم ، بطانة لمعاوية ، ومن الذين يسيل لعابهم على مائدته الملوّنة مقتاتين من فضلاتها . وعند ذاك يحلو لهم أن يختلقوا آلاف الأحاديث في فضيلة الشيخين ، وبني أُميّة ، وعثمان ، ومعاوية . ولا يتورّعوا عن اختلاق الطعن والقدح في أمير المؤمنين عليه السلام والتحدّث إلى الناس من على المنبر نقلاً

عن لسان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

فالتأريخ يعيد نفسه ولا يمثّل إلّا تكراراً للحوادث الواقعة . ولو أردنا أن نتمثّل ببلاط معاوية ، فلننظر إلى مجلسي الشيوخ والنوّاب وأعضائهما . فالصورة واحدة ، وما نراه اليوم مرآة تعكس ذلك الوضع تماماً .

ولقد أرسل **معاوية** إلى **سَمُرَة بن جُنْدُب** ووعده ببذل مائة ألف درهم له ليروي أنّ قوله تعالى : **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌ بِٱلْعِبَاد** .[1] نزل في ابن ملجم أشقى رجل في قبيلة مراد . وقوله تعالى : **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَام * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ** .[2] نزل في أمير المؤمنين **عليّ بن أبي طالب** ، فلم يقبل . فبذل له مائتي ألف درهم ، فلم يقبل . فبذل له أربعمائة ألف درهم ، فقبل .[3]

١ـ الآية ٢٠٧ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢ـ الآيات ٢٠٤ إلى ٢٠٦ ، من السورة ٢ : البقرة .

٣ـ «الغدير» ج ٢ ، ص ١٠١ ، عن «تاريخ الطبريّ» ج ٥ ، ص ٢٢٩ ، و «الكامل» لابن الأثير ، ج ٣ ، ص ١١٧ ؛ و «شرح ابن أبي الحديد» ج ٢ ، ص ٢٤ .

فتغيير التأريخ يمثّل نهاية المرحلة الثالثة من المراحل التي تمّ تطبيقها من قبل الاستعمار دون أيّ اطّلاع قبليّ من الشعب ، وبادروا إلى اتّخاذ هذه الخطوة بأسرع ما يكون إذ دمجوا المجلسين معاً خوفاً من اطّلاع الناس عليه ، حيث من الطبيعيّ أن يكون في الفترة التي تتخلّل المجلسين ، ممّا قد يؤدّي إلى قيام الشعب . فبادروا إلى ذلك لكي لا يعترض أحد ويطالب بحظر القرار .

وكان واضحاً في تلك الجلسة أنّ تغيير التأريخ يعني أنّ أمر الإسلام قد انتهى وأنّهم قد قضوا عليه . ومن الوجهة السياسيّة قدّموا للشعب المحروم والمظلوم في إيران تعصّبهم القوميّ والزرادشتيّة المجوسيّة .

وتحدّث **هوشنك النهاونديّ** رئيس الجامعة ، فقال :

«إنّ تعيين بداية جديدة لتأريخنا يعتبر أهمّ خطوة لترسيخ القوميّة الفارسيّة العريقة ، وإعطاءها الصفة الرسميّة .

والتقويم الجديد تقويم فارسيّ قوميّ كامل بكلّ معنى الكلمة . ويعبّر عن تطوّر أصيل في تأريخنا الحافل بالمفاخر والأمجاد» .

وقال **فرهنك مِهر** ، رئيس جامعة بهلويّ في شيراز :

«وُلِدَتْ إيران وحدة مستقلّة ، وولد شعبها كتلة منظّمة مع كورش والسلسلة الهخامنشيّة» .

وتحدّث **أمير عبّاس هويدا** ، رئيس الوزراء ، بعد المصادقة

على القرار فقال في بعض كلامه :

«نتحدّث في هذه اللحظات من القرن السادس والعشرين للتأريخ الشاهنشاهيّ . ومن البديهيّ أنّ التقويم الهجريّ وهو تقويمنا الدينيّ سيبقى ساري المفعول وله حرمته الخاصّة ... إلّا أنّ قراركم هذا اليوم يمثّل هذه الحقيقة ، وهي وجود إيران واحدة ونظام شاهنشاهيّ واحد على امتداد هذه المدّة الطويلة وهما متلاصقان بحيث يمثّلان مفهوماً واحداً» .

وفي غد ذلك اليوم ، أي : يوم الاثنين ٢٥ إسفند ١٣٥٤ شمسيّ كتبت صحيفة «اطّلاعات» في مقالتها الافتتاحيّة قائلة :

«ونلاحظ الآن من خلال القرار المصادق عليه في الجلسة المشتركة للمجلسين أنّ هذا التقويم القوميّ السابق (المقصود هو فروردين ، وأُرديبهشت ، ولكن على أساس تأريخ الهجرة النبويّة) قد أصبح ينطلق الآن من قاعدة أدق متمثّلة ببداية الإمبراطوريّة الفارسيّة ، أي : جلوس كورش الكبير على عرش الحكم الفارسيّ . فتقويمنا القوميّ الذي يبدأ باليوم الأوّل من فروردين ، وشهوره الاثنا عشر كلّها فارسيّة ، وأسماؤها تراثيّة فارسيّة عريقة ، كان يشكو من النقص كما يبدو إذ لم يشمل تأريخ فارسيّ قبل الإسلام ...»

إلى أن قالت الصحيفة :

«فهذا الوضع السائد ليس منطقيّاً لدولة لها تأريخها المدوّن والمنظّم ، وقاعدتها الشاهنشاهيّة مستمرّة منذ جلوس كورش الكبير على العرش إلى يومنا هذا. وذلك لأنّ الأحداث التأريخيّة كلّها، ومنها هجوم العرب على بلاد

فارس لم تخلخل استمرار التأريخ والإمبراطوريّة الفارسيّة .

وفي الوقت الذي قبلنا فيه الدين الإسلاميّ المقدّس ،ونعتزّ بذلك . فقد كان ولا زال لنا تأريخنا وحضارتنا . وتقويمنا الدينيّ الذي يبدأ بالمحرّم ، وينتهي بذي الحجّة ،كما في البلدان الإسلاميّة جميعها ، له منزلته الخاصّة به . وتقويمنا القوميّ الذي يبدأ بفروردين ،وينتهي بإسفند له منزلته أيضاً .

فذلك هو التقويم الهجريّ ، وهذا هو التقويم الشاهنشاهيّ ، أحدهما يمثّل ديننا ، والآخر يمثّل قوميّتنا» .

يستبين جيّداً ممّا تقدّم أنّ القصد من تغيير التأريخ هو فصل الدين عن القوميّة، وفصله عن السياسة والشؤون الاجتماعيّة، وإضفاء الرسميّة على الشعائر القوميّة والآداب والسنن الجاهليّة ، وعزل الدين الحقّ والسنّة المحمّديّة عن الحياة ، ومصادرة الأصالة والشرف المودعين في فطرة الناس واللذين يؤيّدهما الدين ويعزّزهما .

وقد أشرنا فيما سبق إلى أنّ هؤلاء يقولون : «لا شغل لنا بالتأريخ الهجريّ ، فله موقعه ومنزلته . إلّا أنّ التأريخ الرسميّ الحكوميّ ينبغي أن يكون شمسيّاً وفروردينيّاً وشاهنشاهيّاً» .

أي : أنّ ما ينفع البلاد هو فروردين ، والاعتزاز بعرش كورش والملوك الهخامنشيّين . وهذا هو الذي يفصل الناس عن الدين ويقطع علاقتهم بدينهم ، ودفاعهم عن وطنهم وأعراضهم وأرواحهم

وأموالهم ضدّ الأجانب . وهو ما يروق للاستعمار .

وأيّ ضرر يصيب الاستعمار وخططه المشؤومة إن وضعت العجوز الفلانيّة التأريخ الهجريّ في طيّات مفاتيح الجنان ، أو عيّن الشيخ الفلانيّ آداب ليلة الرَّغائب وأعمالها في ضوئه ؟

يقولون :

«لو اتّخذنا الهجرة النبويّة بداية لتأريخنا ، فإنّ هذا يؤدّي إلى النقص والانكسار في تأريخنا ، ولكن لو اتّخذنا جلوس كورش على العرش بداية له ، فإنّ هذا يبعث على رفعتنا وشموخنا » .

أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ .[1]

فشعوب العالم بأسرها تفتخر وتتشرّف بانتمائها إلى أنبيائها . والنصارى في شتّى أرجاء العالم يتّخذون ميلاد السيّد المسيح عليه السلام تأريخاً لهم . وهؤلاء المجوس واليهود جميعهم يجعلون تقويهم على هذا الأساس نفسه .

فهل صار محمّد المصطفى وصمة عار لكم حتّى تأبوا من الانتماء له ؟!

أنتم مطيّة الاستعمار ، تركتم البلدان الاستعماريّة جميعها وراءكم ! فإنّها غيّرت تأريخها من الهجريّ إلى الميلاديّ . والسيّد المسيح نبيّ عظيم ، وقد أعرضتم عنه أيضاً ! بل وعن جميع الأنبياء

١ـ الآية ٦٧ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

إذ نبذتموهم وراء ظهوركم وأقبلتم على كورش وسيروس لائذين بهما من دون الأنبياء ! **أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَسِيرُونَ عَلَى مَنْهَجِ الشَّيْطَانِ**.

وهنا تثور غِيرة الله سبحانه تعالى، ويأبى مقام عزّته مثل هذه الانتهاكات الصارخة. وبعد مراحل ثلاث: الأُولى: استبدال الشمسيّ بالهجريّ، الثانية: استبدال القديم بالشمسيّ، **الثالثة**: استبدال الشاهنشاهيّ بالقديم. فلابدّ أن يعمّهم البلاء ويذوقوا وبال أمرهم ويلاقوا جزاء ماكسبت أيديهم وما سوّلت لهم أنفسهم. وتنهار قصورهم على رؤوسهم. ويستبدل الخبر بالأثر. **فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ**.[1]

فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.[2]

وكان من المتوقّع ممّا نقلناه، وبعد انهيار قصر الظلم والاستبداد، والتحرّك العارم للشعب المسلم الذي ارتضع أبناؤه لبن أُمّهات أرضعنهم باسم الحبيب المصطفى خلال ألف وأربعمائة سنة، وتفويض أمر الشعب إلى الشعب نفسه في مجلس الخبراء، أن يكون التأريخ هجريّاً قمريّاً فقط، إلّا أنّهم لم يفعلوا ذلك. وتمّ تدوين المادّة السابعة عشرة من دستور الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة على النحو التالي:

١ـ الآية ٢٤، من السورة ١٠: يونس.

٢ـ الآية ١٧، من السورة ٤١: فصّلت.

«بداية التأريخ الرسميّ للبلاد هجرة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وكلا التأريخين : الشمسيّ ، والهجريّ رسميّان معتبران . وتعتمد الدوائر الحكوميّة في أعمالها على التأريخ الشمسيّ . والعطلة الرسميّة الأُسبوعيّة هي يوم الجمعة» .

ونرى هنا أنّ الإصلاح الذي أُجري في هذا المجال تناول المسألة الثالثة فقط ، أي : الرجوع من التأريخ الشاهنشاهيّ إلى التأريخ الهجريّ الشمسيّ . وحيث السنون الشمسيّة لا زالت رسميّة سارية المفعول ، والشهور المجوسيّة القديمة كخرداد وبهمن لم تتغيّر أيضاً .

وهنا ثلاثة إشكالات :

الأوّل : ما هو معنى الجمع بين التأريخين واعتبارهما رسميّين معاً ؟ ونحن نعلم أنّ القرآن الكريم يركّز على الشهور القمريّة في التأريخ فقط . وكذلك السنّة النبويّة ومنهج أئمّة الدين فإنّهما يقتصران على الشهور القمريّة لا غير إجماعاً واتّفاقاً ، فرسميّة الشهور والسنين الشمسيّة منضمّة إلى الشهور القمريّة أمر غير صحيح أبداً .

والثاني : لماذا تتبنّى الدوائر الحكوميّة التأريخ الشمسيّ في أعمالها ، إذ يبقى الإشكال قائماً في كلا المرحلتين ؟ وإذاكان الدين غير منفصل عن السياسة ، فلابدّ أن تتبنّى الدوائر الحكوميّة الشهور

القمريّة فقط . فمن أين جاء هذا الانفصال ؟

و**الثالث** : أنّ تبنّي التأريخ الشمسيّ من قبل الدوائر الحكوميّة عبارة أُخرى لإضفاء الرسميّة على الشهور والسنين الشمسيّة ، لأنّ الرسميّة لا معنى لها إلّا أن يطبّق التأريخ عمليّاً . وعلى هذا فالدوائر الحكوميّة تعترف بالتأريخ الشمسيّ لا القمريّ . وتتعامل فيما بينها به دون القمريّ . وهذا هو المحذور عينه والحرج نفسه .

وما الفرق بين هذا المشروع وذلك المشروع الذي تمثّل بالتغيير الثالث المصادق عليه في المجلسين ؟ فأصحاب ذلك المشروع كانوا يقولون :

«التأريخ الهجريّ له موقعه وحرمته ، ويستعمل عند القيام بالأُمور الدينيّة . والتأريخ الشاهنشاهيّ القديم يستعمل في الشؤون الرسميّة للبلاد ودوائرها ، وفي الزيارات الحكوميّة الرسميّة ، والجلسات ، والندوات ، والمؤتمرات والاحتفالات ، والمناسبات ، والمعاهدات ،وغير ذلك» .

وهؤلاء اليوم لا يهتمّون بالتأريخ القمريّ في الشؤون الرسميّة ، ويؤرّخون ذكرى الثورة ، واستشهاد رجالها ، والاحتفالات وغيرها بالتأريخ الشمسيّ . فاستشهاد المرحوم الشيخ مرتضى مطهّري مثلاً كان في اليوم الخامس من جمادى الآخرة ، بينما يؤرّخونه في اليوم الثاني عشر من أُرديبهشت .[1] وهكذا دأبهم في

١ـ استشهد المرحوم المطهّري في الخامس من جمادى الآخرة سنة ⇦

المناسبات الأُخرى ، فيؤرّخون استشهاد المرحوم دستغيب ، والمرحوم صدوقي ، والمرحوم قاضي ، والمرحوم أشرفي ، والمرحوم مفتّح الذي جعلوا يوم استشهاده يوماً للفيضيّة (مدرسة دينيّة في قم) والجامعة ، ويوماً لتلاحم طلّاب العلوم الدينيّة مع طلّاب الجامعات ، وغير ذلك من المناسبات بالتأريخ الشمسيّ الفارسيّ .

ويؤرّخون رحلة العلّامة آية الله الطباطبائيّ التي وقعت في الثامن عشر من المحرّم ،[1] في ٢٤ آبان ، في حين أنّ روح ذلك المرحوم تستاء من إحياء المناسبات السنويّة بالتأريخ الشمسيّ . وهو متحقّق بالحقّ وحقّانيّة تطبيق الشهور والسنين القمريّة .

ناهيك عن أنّ هذه المناسبات ، والاحتفالات والاستشهادات ، والتأبينات لمّا كانت قد جرت على أساس النهضة الدينيّة الإسلاميّة ، فمن الأنسب أن يحتفل بذكراها باعتماد الشهور القمريّة وذلك لترسيخها وتخليدها في أذهان أبناء الجيل المعاصر والقادم ، فاستشهاد العالم المظلوم الغريب المجاهد السيّد حسن المدرّس

⇦ ١٣٩٩هـ الموافق ١٢ أُرديبهشت سنة ١٣٥٨ .

١ـ كانت وفاته في صباح يوم الأحد ١٨ محرّم الحرام سنة ١٤٠٢ هـ قبل الظهر بثلاث ساعات . وأرجئ تشييع جثمانه الطاهر إلى اليوم التالي ريثما يطّلع الأخيار والأبرار في المدن الأُخرى .

رضوان الله عليه بكاشْمَر في السابع والعشرين من شهر رمضان، وهو صائم. وحيث كان قائماً بالصلاة عند غروب الشمس. فهل من الأفضل أن نحيى ذكراه في هذا التأريخ أو في العاشر من آذر؟ [1]
واستشهاد المرحوم الشيخ فضل الله النوريّ شهيد طريق الحقّ والعدالة الذي شنقوه يوم الثالث عشر من رجب، [2] وهو يوم ميلاد أمير المؤمنين عليه السلام فأيّهما أفضل إحياء ذكراه في هذا التأريخ أو في الشهر الشمسيّ الفلانيّ؟

وعندما ثار الشعب بعد العاشر من المحرّم، وأقام مجالس العزاء عشرة أيّام بتمامها، وأحيى ذكر سيّد الشهداء عليه السلام في المجالس والمحافل من خلال الخطب والكلمات والمحاضرات التي ختمت بالخطاب التأريخيّ الذي ألقاه قائد الثورة في المدرسة الفيضيّة عصر العاشر من المحرّم، ممّا أدّى إلى اعتقال كثير من العلماء والفضلاء في طهران والمدن الأُخرى، حيث نُقِلَ قائد الثورة إلى طهران لإعدامه، ووثبة الشعب المسلم في طهران وقم، فهل من الأفضل أن نحيى هذه الذكرى في اليوم الثاني عشر من المحرّم أو في

١ـ استشهد المرحوم المدرّس في السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٥٦، الموافق ١٠آذر ١٣١٦.

٢ـ استشهد المرحوم الشيخ فضل الله النوريّ في ١٣ رجب ١٣٢٧ شنقاً في ميدان سبه [ساحة الجيش] بطهران.

الخامس عشر من خرداد ؟

ولمّا نهض أهالي طهران في الليلة الأُولى من المحرّم واليوم الأوّل منه وكانوا قد لبسوا الأكفان وهم يردّدون شعار : الله أكبر ، إحياءً لذكرى سيّد الشهداء عليه السلام وقام النظام البهلويّ السفّاح بقمع هذه الوثبة قمعاً دمويّاً ، فهل من الأفضل أن نحيي هذه الذكرى في الأوّل من المحرّم ، أو في الخامس من مِهر ؟

أجل ، فإنّ الشهور القمريّة هي ملاك التقويم للأمّة الإسلاميّة ، لا غيرها ، وذلك وفقاً للأدلّة الشرعيّة والتجربة التأريخيّة .

وتعقد الندوات والجلسات هذه الأيّام في أقطار العالم الإسلاميّ حسب التأريخ الميلاديّ ، والإيرانيّون يؤاخذون تلك الأقطار على استعمال التأريخ الميلاديّ . ولو تساءلت تلك الأقطار عن التأريخ الذي ينبغي أن تتبنّاه وتشترك فيه مع الأقطار الأُخرى ، فهل هناك تأريخ يوحّدها مع غيرها سوى التأريخ الهجريّ القمريّ ؟ وتؤاخذنا تلك الأقطار أيضاً أنّ السنين الشمسيّة غير إسلاميّة ، وأنّ فروردين وبهمن وغيرهما من الشهور الفارسيّة هي غير إسلاميّة أيضاً ، إذَنْ ينبغي أن نتلاحم ونتكاتف لإصلاح شؤوننا على أساس قاعدة قرآنيّة صحيحة ، وذلك لتتضافر جهودنا ونساهم جميعنا في أوّل شيء يمثّل شرطاً لوحدة المسلمين .

ونقول مرّة أُخرى أيضاً : كيف لا يصحّ أن نؤرّخ ذكرى

استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام بالتأريخ الشمسيّ ، لأنّـه سيقع في شوّال يوماً ، وفي ربيع الأوّل يوماً آخر ؟ وكيف لا يصحّ أن نجعل عاشوراء بالتأريخ الشمسيّ ، لأنّه سيقع في رجب مرّة ، وفي شوّال مرّة أُخرى ؟ وكيف لا يصحّ أن نجعل النصف من شعبان حيث ولادة الأمام صاحب الزمان عليه السلام بالتأريخ الشمسيّ ، لأنّه سيقع في محرّم يوماً ، وفي صفر يوماً آخر ؟ وبصورة عامّة تدور في السنة كلّها ، وكذلك لا تصحّ في سائر المناسبات السنويّة .[1]

١ـ جاء في «فروع الكافي» طبعة مطبعة حيدري ، ج ٤ ، ص ١٤٩ حول عيدالغدير : أنّ محمّد بن يعقوب الكلينيّ روى عن سهل بن زياد ، عن عبد الرحمن ابن سالم ، عن أبيه ، قال: سألت جعفر بن محمّد عليهما السلام : هل للمسلمين عيد غير يوم الجمعة والأضحى والفطر ؟ قال : نعم ، أعظمها حرمة ! قلت : وأيّ عيد هو جعلت فداك ؟ قال : اليوم الذي نصب فيه رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أميرَ المؤمنين عليه السلام وقال : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ !** قلتُ : وأيّ يوم هو ؟! قال : وما تصنع باليوم ؟ إنَّ السَّنَةَ تدور ؛ ولكنّه يوم ثمانيةعشر من ذي الحجّة ... إلى آخر الرواية التي تحدّثت عن أعمال يوم العيد من ذكرالله، والصوم، والعبادة ، وذكر محمّد وآل محمّد . ولمّا أراد السائل أن يعرف يوم الغدير حسب الفصول والشهور الشمسيّة، منعه الإمام وقال : إنّ المدار في تعيين الأيّام والأعياد وغيرهما هو الشهور القمريّة لا الشمسيّة . وعيد الغدير هو في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة . وهو غيرمعروف حسب الشهور الشمسيّة ، لأنّ الأيّام تدور في السنّة ، وكلّ يوم من الشهر القمريّ لا يوافق يوماً خاصّاً من الشهر الشمسيّ ، بل هو يدور باستمرار . على سبيل المثال، يقع عيدالغدير في الربيع وبرج الحمل مرّة ، وفي الصيف وبرج السرطان مرّة أُخرى ، وفي الخريف وبرج القوس مرّة ثالثة ، وهكذا . ولمّا كان المدار في ⇦

وهذا هو النسيء الذي نهانا عنه القرآن ، وحذّرتنا منه السنّة النبويّة بشدّة من خلال خطبة حجّة الوداع . ذلك لأنّ السنين الشمسيّة تتأخّر عن السنين القمريّة . ولو قدّر أن نجعل التقويم على أساس التأريخ الشمسيّ ، فقد أخّرنا أحد عشر يوماً كلّ سنة عن أوقات السنة السابقة ؛ إذَنْ لا سبيل لنا إلّا تبنّي الشهور القمريّة ، وذلك لكي لا نبتلي بالنسيء ، ولنجعل كلّ فعل في موضعه وزمانه الخاصّ به .

ولمّا ورد ذكر النسيء في خطبة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بمنى ، ممّا اضطرّنا إلى شرحه وتفسيره ، جرّنا الحديث حول النسيء إلى بحث كامل وشامل حول الشهور القمريّة والسنوات الشمسيّة .

فللّه الحمد وله المنّة على تقديم هذا البحث النزيه لمطالعته من قبل القرّاء المحترمين لهذه الرسالة .

تَذييل : السنة الشمسيّة عبارة عن دوران الأرض حول الشمس . أي : من بداية وصول الأرض إلى أوّل برج الحمل ، إلى وصولها ثانية في تلك النقطة ، وهو عبارة عن ثلاثمائة وخمسة وستّين يوماً وخمس ساعات وثماني وأربعين دقيقة وخمس

⇦ الأُمور الشرعيّة والحساب هو الشهور القمريّة ، فلا جدوى من معرفة الشهور الشمسيّة وانطباق الأُمور والحساب عليها . ولذلك قال للسائل : وما تصنع باليوم؟! إنّ السَّنة تدور، ولكنّه يوم ثمانية عشر من ذي الحجّة .

وأربعين ثانية . ولمّا كان تقسيم هذا المقدار على اثني عشر شهراً غير محسوس ، ويبقي كسراً ، لذلك كما أنّ محاسبة المنجّم ضروريّة لأصل تعيين هذا المقدار ، فهي من الأُمور الضروريّة والحتميّة أيضاً لكيفيّة تقسيم هذا المقدار على الشهور الاثني عشر . ولمّا اختلف المنجّمون في كيفيّة التقسيم ، لذلك تتباين الشهور الشمسيّة على أساس التواريخ المختلفة : **الروميّ** و**الميلاديّ القيصريّ** المعروف بتأريخ **جولين** ، و**الميلاديّ الغريغوريّ** ، و**الهجريّ الشمسيّ** ، و**الشمسيّ اليزدجرديّ** ، و**الجلاليّ الملكشاهيّ** ، و**الشمسيّ القديم** .[1] ويختلف عدد أيّام الشهر في كلّ واحد من هذه التواريخ .

وأمّا السنون القمريّة فلمّا كانت اثني عشر شهراً قمريّاً ،

١ـ تتألّف **السنون الروميّة** من اثني عشر شهراً هي : تشرين الأوّل ٣١ يوماً، تشرين الثاني ٣٠ يوماً ، كانون الأوّل ٣١ يوماً ، كانون الثاني ٣١ يوماً ، شباط ٢٨ يوماً وفي الكبيسة ٢٩ يوماً ، آذار ٣١ يوماً ، نيسان ٣٠ يوماً ، أيّار ٣١ يوماً ، حزيران ٣٠ يوماً، تمّوز ٣١ يوماً، آب ٣١ يوماً ، أيلول ٣٠ يوماً .

تعديل التأريخ الروميّ بتعديل تأريخ جولين ، وكبيسته أيضاً مرّة واحدة في كلّ أربع سنين تضاف في آخر شباط . ولذلك فإنّ السنين الكبائس تتألّف من ٣٦٦ يوماً.

والسنون **الميلاديّة القيصريّة** تشبه السنين الروميّة تماماً من حيث مقدار الشهور والكبائس، إلّا أنّها تفترق عنها في أنّ بداية السنة فيها هي الأوّل من كانون الثاني سنة ٧٥٤ من بناء مدينة روما ، وأنّ ولادة السيّد المسيح في الخامس والعشرين من كانون الأوّل . ⇦

والشهر القمريّ محسوس ومشهود ، وهو عبارة عن الفترة بين مقابلتين متواليتين للشمس والقمر ، وبدايته ينبغي أن تتحقّق برؤية

⇦ وتجري سنون هذا التأريخ كسنين التأريخ الروميّ ، ويعرف هذا التأريخ بتأريخ جولين. وشهوره هي : يناير ٣١ يوماً ، فبراير ٢٨ يوماً وفي الكبيسة ٢٩ يوماً ، مارس ٣١ يوماً ، أبريل ٣٠ يوماً ، مايو ٣١ يوماً ، يونيو ٣٠ يوماً ، يوليو ٣١ يوماً ، آغسطس ٣١ يوماً ، سبتمبر ٣٠ يوماً ، أُكتوبر ٣١ يوماً ، نوفمبر ٣٠ يوماً ، ديسمبر ٣١ يوماً.

وكما يلاحظ هنا فإنّ أسماء الشهور تختلف عن أسماء الشهور الروميّة فقط وأمّا مقدارها فهو متساو ، لأنّ يناير الواقع بين الشهر الأوّل والشهر الثاني من الشتاء، يطابق كانون الثاني . وفبراير هو شباط نفسه ، وهكذا بقيّة الشهور . في هذا التأريخ المعروف بتأريخ جولين تتألّف السنة ـ كما في التأريخ الروميّ ، من ثلاثمائة وخمسة وستّين يوماً وستّ ساعات ٣٦٥/٢٥ . فلهذا تكون السنة كبيسة مرّة واحدة في كلّ أربع سنوات .

أمّا التأريخ الميلادي **الغريغوريّ** ، فلمّا كانت السنة الحقيقيّة فيه شمسيّة فإنّه يفترق عن السنة الشمسيّة في تأريخ جولين . لذلك فإنّ التأريخ فيه يتأخّر يوماً واحداً في كلّ ١٢٠ سنة. فلهذا صحّحه **البابا غريغوريوس** بمساعدة المنجّم الإ يطاليّ ليليو، فمضافاً إلى أنـّهم يجعلون السنة كبيسة مرّة واحدة في كلّ أربع سنوات ، كانوا ينقصون ثلاثة أيّام في كلّ أربعمائة سنة. وذلك على النحو التالي : يفترض أنـّهم ⇦ يجعلون السنة كبيسة في رأس كلّ مائة سنة ، إلّا أنـّهم لا يفعلون ذلك، ولا يكبسون ثلاث مرّات ، أي : في رأس ثلاثمائة سنة ، ويكبسون عادة في رأس القرن الرابع. وكان التأريخ قد تأخّر عشرة أيّام حتّى عصر غريغوريوس ، فكان الناس يظنّون أنّ التأريخ هو (٥) أُكتوبر فأمر أن يجعلوه (١٥) أُكتوبر ، فاشتهر التأريخ الغريغوريّ منذ ذلك الحين ، ونسخ تأريخ جولين . ويستعمل النصارى كلّهم هذا اليوم التأريخ الغريغوريّ ويتعاملون به . ⇦

الهــلال ، فـلا حـاجة إلى مـحاسبة المـنجّم ، والتـعديلات ، وضـبط الكبائس ، وعلى الرغم من أنّ المنجّمين نظّموا لهم كبائس ، إلّا أنـّها تعود إلى الشهور القمريّة النجوميّة ، لا إلى الشهور القمريّة الشرعيّة

⇦ وأمّا **التأريخ الهجريّ الشمسيّ** الذي يبدأ بهجرة النبيّ صلّى الله عـليه وآله وسلّم وسنونه شمسيّة حقيقيّة ، وشهوره المتمثّلة بـالبروج الشـمسيّة قـد نـظّمت مطابقة لحركة الأرض في البروج الاثني عشر بحيث لا تزيد على ٣٢ يوماً، ولا تنقص عن ٢٩ يوماً ، فشهوره على النحو التالي :

الحَمَل ٣١ يوماً ، الثَوْر ٣١ يوماً ، الجَوزاء ٣٢ يوماً ، السَرَطان ٣١ يوماً ، الأسَد ٣١ يوماً ، السُنْبَلَة ٣١ يوماً ، الميزان ٣٠ يوماً ، العَقْرَب ٣٠ يوماً ، القَوْس ٢٩ يوماً، الجَدْي ٢٩ يوماً ، الدَّلْو ٣٠ يوماً ، الحوت ٣٠ يوماً . وأوّل السنة الهجريّة الشمسيّة هو أوّل الاعتدال الربيعيّ دائماً .

وتعديل هذا التأريخ لضبط الكبائس هو تعديل التقويم الملكشاهيّ نفسه الذي سيأتي فيما بعد .

وأمّا **التأريخ الشمسيّ اليزدجرديّ** فإنّه يبدأ بـجلوس يـزدجرد الثـالث آخـر الملوك الساسانيّين على العرش ، وكان ذلك في سنة ١١ هـ . وسـنون هـذا التـقويم تقريبيّة. لأنّ السنة حسبت (٣٦٥) يوماً ، فلهذا يتأخّر التأريخ يوماً واحداً في كلّ أربع سنوات على النحو التالي :

فروردين ٣٠ يوماً ، أُرديبهشت ٣٠ يوماً ، خُرداد ٣٠ يوماً ، تِير ٣٠ يوماً ، مُرداد ٣٠ يوماً ، شَهريور ٣٠ يوماً ، مِهر ٣٠ يوماً ، آبان ٣٠ يوماً ، آذر ٣٠ يوماً ، دي ٣٠ يوماً، بهمن ٣٠ يوماً، إسفند ٣٠ يوماً .

وكانوا يضيفون خمسة أيّام باسم (اندركاه) إلى آخـر إسـفند أو آبـان ، وهـي الخمسة المسترقّة نفسها .

وأمّا **التأريخ الجلاليّ الملكشاهيّ** فهو التقويم الذي تمّ تنظيمه بـمساعدة ⇦

التي يجب أن تتمّ برؤية الهلال بعد خروجه من المحاق .

ولمّا كان الدين الإسلاميّ المقدّس هو دين الفطرة : **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** .[١] فلهذا ترتكز أحكامه وقوانينه كلّها على قاعدة الفطرة والطبيعة والمشاهدة والرؤية وأمثالها . يقول :

متى رأيت الهلال في أُفق السماء بعد المحاق فاجعله أوّل الشهر ! واستمرّ بهذا الشهر حتّى الرؤية الأُخرى !

هذا تعليم بسيط ويسير وعامّ ولا يقبل التغيير والتحريف

⇦ الحكيم عمر الخيّام . والسبب في ذلك هو أنّ التأريخ الشمسيّ اليزدجرديّ كان متداولاً حتّى ذلك الحين وهو عصر حكومة ملكشاه . ولمّا كان التأريخ يتأخّر يوماً واحداً في كلّ أربع سنوات بواسطة النقص في الحساب ، فلهذا جعلوا عدد الشهور مثل التأريخ اليزدجرديّ ، وأضافوا خمسة أيّام في آخر إسفند . وقالوا بدور ٣٣ سنة لنقص الكبائس وضبطها ، إذ يكبسون ثماني سنوات في كلّ ٣٣ سنة ، أي ، مرّة واحدة في رأس كلّ سنة رابعة ، وأربع سنوات متوالية بسيطة ، ويكبسون في رأس السنة الخامسة . وبهذا التقويم لا يرد نقص حتّى ستّة آلاف سنة .

وأمّا **التأريخ الشمسيّ القديم** الذي أصبح رسميّاً في الدورة الخامسة لمجلس النوّاب، فشهوره الستّة الأُولى التي تبدأ بشهر فروردين كلّ واحد منها ٣١ يوماً، والخمسة التي تليها ٣٠ يوماً ، والشهر الأخير ، إسفند ٢٩ يوماً ، وجعلوه في الكبيسة ٣٠ يوماً .

١ـ الآية ٣٠ ، من السورة ٣٠ : الروم .

والزيادة والنقصان .

وهذه الكيفيّة من محاسبة الشهر ، ورؤيته في أوّله ، ومشاهدة سيره في السماء ، لتعيين الوقت قضيّة عامّة يتساوى فيها العالم والجاهل ، والرياضيّ والأُمّيّ ، والمنجّم وغير المنجّم ، والحضريّ والبدويّ ، والحاضر والمسافر ، ولا يختلف فيها هؤلاء ، ولا يُشْتَبَه بها في الحساب .

ولو بقى شخص على ظهر السفينة الرأسيّة في الماء أعواماً كثيرة ، مثلاً خمسين سنة أو أكثر ، أو عاش على سفوح الجبال وحده بعيداً عن أنظار الناس ، أو قضى عمره في القرى والأرياف منعزلاً عن مجتمعه ، أو أنقطع عن القافلة ، وظلّ في البوادي والفلوات سنيناً من عمره ، فإنّه يعرف شهره ، ويعرف اليوم الذي يعيش فيه .

والإسلام الذي هو دين عامّ وعالَميّ وفطريّ قد قرّر لجميع الناس في العالم تنظيم السنين والشهور على أساس رؤية الأهلّة والشهور القمريّة . وهذا الأمر في غاية من الدقّة بحيث لو افترق شخصان من المجاهدين في سبيل الله ، أحدهما في شرق الكرة الأرضيّة ، والآخر في غربها ، وظلّا على ذلك الافتراق أعواماً مديدة ليس معهما تقويم ، ولا منجّم ولا حاسب ، ثمّ التقيا ، فإنّهما يعلمان في أيّ يوم من أيّام السنة ، وفي أيّ شهر من شهورها يعيشان . ذلك لأنّ عندهما حساب الشهور بواسطة رؤية الهلال ، وحساب السنين

باثني عشر شهراً لكلّ سنة ، وكذلك عندهم حساب الأيّام .

وهذا قانون لا يعتريه النقصان والزيادة ، وهو غنيّ عن محاسبة المنجّم . ولا خلاف بين القائلين به وأتباعهم . ولا يحتاج إلى الجَعْل والحَدْس والتقريب والتخمين والوضع العرفيّ .

وهذا قانون يتيسّر له توجيه الناس وإدارة شؤونهم . ويبثّ حكمه إلى شتّى أرجاء العالم مهما كانت الظروف والأحوال ، ويوحّد الجميع تحت راية واحدة وتأريخ واحد وتقويم واحد . وهذه هي الشريعة السهلة العامّة التي تحدّث عنها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، إذ قال : **بُعِثْتُ عَلَى شَرِيعَةٍ سَمْحَةٍ سَهْلَةٍ** .

أمّا لو قدّر أن يكون التقويم الشرعيّ والإسلاميّ هو التقويم الشمسيّ ، فالله أعلم بالإشكالات التي ستحصل جرّاء ذلك .

أوّلاً : الحاجة إلى الرَّصَد ، والمنجّم ، وتعيين نقطة الاعتدال الربيعيّ ، أو الخريفيّ ، والإسلام لا يقيّد أحكامه أبداً بالحاجة إلى أمر خارجيّ مجعول .

ثانياً : أيّ شهر من الشهور الشمسيّة يمكن أن يكون معتبراً ؟ ذلك لأنّنا عرفنا أنّ مقدار الشهور الشمسيّة يتفاوت حسب التقاويم المختلفة .

ثالثاً : لو خُوّل المنجّم صلاحيّة تعيين الشهور ، فإنّ كلّ واحد من المنجّمين ينظّم الشهور بشكل خاصّ حسبما يراه . ممّا يبعث

على نشوب الخلاف والاختلاف بين أبناء الأُمّة في التقويم والأحكام . ونحن نعلم أنّ المنجّمين لو لم يخطأوا في أصل حساب الكبيسة وتعيين مقدارها ، فإنّ الصلاحيّة في تعيين مقدار الشهور أمر مجعول وخاضع لنفوذهم . ولا يمكن تقديم رأي لمنجّم خاصّ على رأي منجّم آخر مع حفظ أُصول الحساب .

ورابعاً : يؤدّي هذا الأمر إلى اختلاف المسلمين في بقاع مختلفة من العالم لتعذّر الحصول على تقويم وتأريخ معيّنين . ويضيع أهل القرى والأرياف ، والقوافل ، والمسافرون عبر البحر والجوّ ـ لو طال سفرهم ـ حسابهم . وحينئذٍ لا يبقى مفهوم ومصداق لخلود الشريعة ، **وَحَلَالُ مُحَمَّدٍ حَلَالٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَحَرَامُ مُحَمَّدٍ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** .[1]

ولذا نرى كيف اعتبرت الآية الكريمة : **إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ** :

أوّلاً : ترتيب الشهور القمريّة منوطاً بالخلق ، وعددها الاثنا عشر مرتبطاً بأصل التكوين والفطرة ، وخلق السماوات والأرض . مضافاً إلى أنّها عرضت ذلك بوصفه الدين القيّم ، أي : الثابت . وبعبارة أُخرى ، أنّ السنين القمريّة والشهور القمريّة هي دين الله

١ـ حديث نبويّ رواه الشيعة والسنّة .

القيّم الثابت وحكمه الذي لا يتغيّر ولا يقبل التحريف ما دامت السماوات والأرض.[1]

مرحباً بهذا الدين ذي التأريخ الدقيق والمنظّم إلى درجة أنّ هذا اليوم الذي نحن فيه، وهو الرابع من ربيع الثاني سنة ألف وأربعمائة وخمس للهجرة، هو نفسه في أرجاء العالم كافّة، وبين المسلمين جميعهم بلا خلاف، فاليوم هو نفسه، وكذلك الشهر والسنة.

والآن ندرك كيف حاول الاستعمار أن يخلخل هذا التأريخ القويم، ويقطع وشائج الوحدة بين المسلمين، ويقصّ هذا الحبل المتين على أساس الشهور والسنين الشمسيّة، مع أنّ بداية الهجرة محفوظة، أو على أساس استبدال التأريخ الهجريّ بالتأريخ الميلاديّ أو الشاهنشاهيّ. **قَطَعَ اللهُ أَيْدِيَهُمْ، وَتَبَّتْ كَلِمَتَهُمْ، وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا وَبِمَا عَمِلُوا، وَثَبَّتَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِدِينِهِمُ الْقَوِيمِ وَصِرَاطِهِمُ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَعْلَى كَلِمَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الْعُلْيَا.**

ثانياً: من المنافع التي تدرّها السنون والشهور القمريّة ـ كما

١ـ في ضوء ذلك يقول الشيخ الطبرسيّ في تفسير «مجمع البيان» طبعة صيدا ج٣، ص ٢٨ بعد تفسير هذه الآية المباركة: وفي هذه الآية دلالة على أنّ الاعتبار في السنين بالشهور القمريّة لا بالشمسيّة، والأحكام الشرعيّة مُعَلَّقَةٌ بها. وذلك لِمَا علم الله سبحانه فيه من المصلحة، ولسهولة معرفة ذلك على الخاصّ والعامّ.

يبدو ـ تطوّر أعمال المسلمين في جميع الفصول والأوقات المختلفة من السنة . مثلاً صيام شهر رمضان يدور في الفصول المختلفة . ويصوم المسلم في الشتاء ، والربيع ، والصيف ، والخريف دون أن يكون هناك أيّ تخلّف . وفي ضوء ذلك ، مضافاً إلى أنّ طبيعته في الفصول الأربعة تحتاج إلى الصوم في الفصول الأربعة ـ حسب فهم الأحكام والقوانين من أصل الفطرة ـ وأنّ الفوائد الصحيّة للصوم تعود إليه بنحو تامّ . فإنّه يهيّئ طبيعته وإرادته للجوع في أوقات طويلة وحارّة أيضاً . وفي ضوء ذلك يتيسّر على المسلم الجهاد في سبيل الله ، وهو الفريضة الواجبة والعامّة على الشيوخ والشباب ولا تختصّ بفصل الشتاء واعتدال الجوّ . وربّما تقع في الصيف القائظ . إذ يلزم على الأُمّة الإسلاميّة أن تنهض للجهاد ضدّ خصومها وتدافع عن حقوقها الحقّة سواء في الجوّ الحارّ الشديد والنهار الطويل أو في البرد القارص وشدّته . وكذلك الحجّ الذي يقام في ذي الحجّة ويدور في الفصول الأربعة فإنّه يعدّ الإنسان للجهاد ، والسفر في طرق نائية مهما كانت الظروف مضافاً إلى ما يقتطفه المسلم من ثمار الحجّ حتّى في البرد القارص والحرّ الشديد .

وحصيلة القول : إنّه لمّا كانت طبيعة الإنسان تتغيّر في الفصول الأربعة على امتداد السنة ، فإنّ الإسلام المرتكز على قاعدة الفطرة البشريّة قد وضع أحكامه وتعاليمه لتلائم طبيعة الإنسان في دورة

الفصول الأربعة .

وأمّا ما تناقلته الألسن ولاكته الأفواه عن عيد النـوروز ، وأنّ الإسلام أيّـده ، ورغّب فـي الغسـل والصـلاة والدعـاء عـند تـحويل الشمس في برج الحمل ، فـهو كـلام عـار عـن الصـحّة ومـجرّد مـن الحقيقة .

فلم يرغّب الإسلام في هذا المـجال قـطّ ، بـل رفـضه واعـتبر الاحتفال بهذا العيد كتقليد قوميّ بدعة من البدع . والرواية الواردة في هـذا البـاب عـن المُـعَلَّى بْـنِ خُـنَيْس ضـعيفة السـند . والروايـات والأحاديث الأُخرى على هذا المنوال . والغسل والدعاء أيـضاً عـلى أساس أدلّة التسامح في السنن في ضوء روايات : **مَنْ بَلَغَهُ ثَوَابٌ عَلَى شَيْءٍ فَأَتَى بِهِ الْتِمَاسَ ذَلِكَ الثَّوَابِ أُوتِيَهُ وَإن لَمْ يَكُنْ كَمَا بَلَغَ** ، فليس مشرّعاً للحكم ، ولا أساس للتمّسك بـتلك الروايـات فـي هـذا المجال . وفي نيّتنا تأليف رسالة شاملة وكـاملة حـول عـيد النـوروز وعدم جـواز التـمسّك بأدلّـة التسـامح فـي السـنن فـي هـذا المـجال **بحول الله وقوّته ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم** .

وكذلك ورد النهي عن المهرجان وهو (عيد مهركان) . واعتبر الشارع أنّ التمسّك بالنوروز والمهرجان من آداب الجاهليّة . ونأمل أن تظهر حقائق أكثر مـن خـلال تأليـف هـذه الرسـالة **إن شاء الله تعالى** .

إلى هنا ننهي حديثنا عن الشهور والسنوات القمريّة والشمسيّة ، وعن تفسير النسيء الوارد في الآية الكريمة ، وفي الحديث النبويّ الشريف المأثور في حِجَّة الوداع ؛ سائلاً الله أن يوفّقني وجميع المؤمنين والمؤمنات ويمنّ علينا بالعلم والعمل .

السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ